

في كل شهر عربي

الجزء الثامن	١٨ شعبان سنة ١٣٦٠	المجلد الثاني عشر

مدير إدارة المجلة ورئيس تحريرها

محمد فريد وجدي

الإدارة

ميدان الأزهر

تليفون : ٨٤٣٣٢

الرسائل تكون باسم مدير المجلة

الاشتراكات عن سنة

	مليم
داخل القطر	٢٠٠
لطلبة الجامعة الأزهرية خاصة ...	١٠٠
خارج القطر	٣٠٠

ثمن الجزء الواحد ٢٠ مليما داخل القطر و ٣٠ خارجه

(مطبعة الأزهر — ١٩٤١)

فهرس

الجزء الثامن — المجلد الثانى عشر

بسم الله الرحمن الرحيم

حكم الشرع فى المخدرات

لحضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الكبير مفتى الديار المصرية

طلب سعادة مدير مكتب المخدرات من حضرة صاحب الفضيلة مفتى الديار المصرية بيان حكم الشرع فى المواد المخدرة ، واشتمل السؤال على المسائل الآتية :

(١) تعاطى المواد المخدرة (٢) الاتجار بالمواد المخدرة واتخاذها وسيلة للربح التجارى (٣) زراعة الخشخاش والحشيش بقصد البيع أو استخراج المادة المخدرة منهما للتعاطى أو للتجارة (٤) الربح الناجم من هذا السبيل أهو ربح حلال أم حرام ؟

وقد أجاب فضيلته بما يأتى :

(١) تعاطى المواد المخدرة :

إنه لا يشك شاك ولا يرتاب مرتاب فى أن تعاطى هذه المواد حرام ، لأنها تؤدى الى مضار جسيمة ومفاسد كثيرة ، فهى تفسد العقل ، وتفتك بالبدن ، الى غير ذلك من المضار والمفاسد ، فلا يمكن أن تأذن الشريعة بتعاطيها مع تحريمها لما هو أقل منها مفسدة وأخف ضررا . ولذلك قال بعض علماء الحنفية : « إن من قال بحل الحشيش زنديق مبتدع » ، وهذا منه دلالة على ظهور حرمتها ووضوحها . ولأنه لما كان الكثير من هذه المواد يخامر العقل ويغطيه ويحدث من الطرب واللذة عند متناوليها ما يدعوهم الى تعاطيها والمداومة عليها ، كانت داخلة فيما حرمه الله تعالى فى كتابه العزيز وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم من الخمر والمسكر .

قال شيخ الاسلام ابن تيمية فى كتابه السياسة الشرعية ما خلاصته : « إن الحشيشة حرام يحد متناولها كما يحد شارب الخمر ، وهى أخبث من الخمر من جهة أنها تفسد العقل والمزاج حتى يصير فى الرجل تخنث ودياثة وغير ذلك من الفساد ، وأنها تصد عن ذكر الله وعن الصلاة ، وهى داخلة فيما حرمه الله ورسوله من الخمر والمسكر لفظا أو معنى . قال أبو موسى الأشعرى رضى الله عنه : يا رسول الله أفتنا فى شرابين كنا نصنعهما باليمن : البِتْع وهو العسل ينبذ حتى يشتد ، والمِزْر وهو من الذرة والشعير ينبذ حتى يشتد . قال : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أعطى جوامع الكلم بخواتمه فقال : « كل مسكر حرام » . رواه البخارى ومسلم .

وعن النعمان بن بشير رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن من الحنطة خمرا ، ومن الشعير خمرا ، ومن الزبيب خمرا ، ومن التمر خمرا ، ومن العسل خمرا ، وأنا أنهى عن كل مسكر » . رواه أبو داود وغيره . وعن ابن عمر رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « كل مسكر خمر ، وكل مسكر حرام » وفى رواية « كل مسكر خمر ، وكل خمر حرام » . رواهما مسلم . وعن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كل مسكر حرام ، وما أسكر الفَرَق منه فملء الكف منه حرام » . قال الترمذى حديث حسن . (والفرق مكيال يسع ستة عشر رطلا . والمعنى ما أسكر كثيره فقليله حرام) . وروى أهل السنن عن النبى صلى الله عليه وسلم من وجوه أنه قال : « ما أسكر كثيره فقليله حرام » وصححه الحفاظ . وعن جابر رضى الله عنه أن رجلا سأل النبى صلى الله عليه وسلم عن شراب يشربونه بأرضهم من الذرة يقال له المِزْر ، قال : أمسكر هو ؟ قال: نعم ، فقال : « كل مسكر حرام ، إن على الله عهدا لمن يشرب المسكر أن يسقيه من طينة الخبال ، قالوا : يا رسول الله وما طينة الخبال ؟ قال عرق أهل النار أو عصارة أهل النار » رواه مسلم . وعن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم : « كل مخمِّر وكل مسكر حرام » رواه أبو داود (والمخمر ما يغطى العقل) . والأحاديث فى هذا الباب كثيرة مستفيضة ، جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بما أوتيه من جوامع الكلم كل ما غطى العقل وأسكر ، ولم يفرق بين نوع ونوع ، ولا تأثير لكونه مأكولا أو مشروبا . على أن الخمر قد يصطبغ بها ، أى تجعل إداما ، وهذه الحشيشة قد تذاب بالماء وتشرب ، فالخمر يشرب ويؤكل ، والحشيشة تؤكل وتشرب ، وكل ذلك حرام . وحدوثها بعد عصر النبى صلى الله عليه وسلم والأئمة لا يمنع من دخولها فى عموم كلام رسول الله عن المسكر ، فقد حدثت أشربة مسكرة بعد النبى صلى الله عليه وسلم وكلها داخلة فى الكلم الجوامع من الكتاب والسنة » . انتهت خلاصة كلام ابن تيمية . وقد تكلم رحمه الله عنها أيضا غير مرة فى فتاواه ، فقال ما خلاصته : « هذه الحشيشة الملعونة هى وآكلوها ومستحلوها ، الموجبة لسخط الله تعالى وسخط رسوله وسخط عباده المؤمنين ، المعرضة صاحبها لعقوبة الله ، تشتمل على ضرر فى دين المرء وعقله وخلقه وطبعه ، وتفسد الأمزجة حتى جعلت خلقا كثيرا مجانين ، وتورث من مهانة آكلها ودناءة نفسه وغير ذلك مالا تورث الخمر ، ففيها من المفاسد ما ليس فى الخمر ، فهى بالتحريم أولى ، وقد أجمع المسلمون على أن السكر منها حرام ، ومن استحل ذلك وزعم أنه حلال فإنه يستتاب ، فإن تاب وإلا قتل مرتدا لا يصلى عليه ولا يدفن فى مقابر المسلمين . وإن القليل منها حرام أيضا بالنصوص الدالة على تحريم الخمر وتحريم كل مسكر » اهـ .

وقد تبعه تلميذه الامام المحقق ابن القيم رحمه الله فقال فى زاد المعاد ما خلاصته :

« إن الخمر يدخل فيها كل مسكر ، مائعا كان أو جامدا ، عصيرا أو مطبوخا ، فيدخل فيها لقمة الفسق والفجور — ويعنى بها الحشيشة — لأن هذا كله خمر بنص رسول الله صلى الله عليه وسلم الصحيح الصريح الذى لا مطعن فى سنده ولا إجمال فى متنه ، إذ صح عنه قوله : « كل مسكر خمر » ، وصح عن أصحابه رضى الله عنهم الذين هم أعلم الأمة بخطابه ومراده بأن الخمر ما خامر العقل . على أنه لو لم يتناول لفظه صلى الله عليه وسلم كل مسكر لكان القياس الصحيح الصريح الذى استوى فيه الأصل والفرع من كل وجهة حاكما بالتسوية بين أنواع المسكر ، فالتفريق بين نوع ونوع تفريق بين متماثلين من جميع الوجوه » اهـ .

وقال صاحب سبل السلام شرح بلوغ المرام : « إنه يحرم ما أسكر من أى شىء وإن لم يكن مشروبا كالحشيشة » . ونقل عن الحافظ ابن حجر « أن من قال إن الحشيشة لا تسكر وإنما هى مخدر ، مكابر ، فإنها تحدث ما تحدثه الخمر من الطرب والنشوة » . ونقل عن ابن البيطار من الأطباء « أن الحشيشة التى توجد فى مصر مسكرة جدا إذا تناول الانسان منها قدر درهم أو درهمين ، وقبائح خصالها كثيرة ، وعدّ منها بعض العلماء مائة وعشرين مضرة دينية ودنيوية ، وقبائح خصالها موجودة فى الأفيون ، وفيه زيادة مضار » اهـ .

وما قاله شيخ الاسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم وغيرهما من العلماء هو الحق الذى يسوق إليه الدليل وتطمئن به النفس . وإذ قد تبين أن النصوص من الكتاب والسنة تتناول الحشيش، فهى تتناول أيضا الأفيون الذى بيّن العلماء أنه أكثر ضررا ، ويترتب عليه من المفاسد ما يزيد على مفاسد الحشيش كما سبق عن ابن البيطار ، وتتناول أيضا سائر المخدرات التى حدثت ولم تكن معروفة من قبل ، إذ هى كالخمر من العنب مثلا فى أنها تخامر العقل وتغطيه ، وفيها ما فى هذه الخمر من مفاسد ومضار ، وتزيد عليها بمفاسد أخرى كما فى الحشيش ، بل أفظع وأعظم كما هو مشاهد ومعلوم ضرورة . ولا يمكن أن تبيح الشريعة الاسلامية شيئا من هذه المخدرات ، ومن قال بحل شىء منها فهو من الذين يفترون على الله الكذب أو يقولون على الله ما لا يعلمون . وقد سبق أن قلنا إن بعض علماء الحنفية قال « إن من قال بحل الحشيشة زنديق مبتدع » ، وإذا كان من يقول بحل الحشيشة زنديقا مبتدعا ، فالقائل بحل شىء من هذه المخدرات الحادثة التى هى أكثر ضررا وأكبر فسادا زنديق مبتدع أيضا ، بل أولى بأن يكون كذلك . وكيف تبيح الشريعة الاسلامية شيئا من هذه المخدرات التى يلمس ضررها البليغ بالأمة أفرادا وجماعات ماديا وصحيا وأدبيا كما جاء فى السؤال ، مع أن مبنى الشريعة الاسلامية على جلب المصالح الخالصة أو الراجحة ، وعلى درء المفاسد والمضار كذلك ؟ وكيف يحرم الله سبحانه وتعالى العليم الحكيم الخمر من العنب مثلا كثيرها وقليلها لما فيها من المفسدة ، ولأن قليلها داع الى كثيرها وذريعة

اليه ، ويبيح من المخدرات ما فيه هذه المفسدة ويزيد عليها بما هو أعظم منها وأكثر ضررا للبدن والعقل والدين والخلق والمزاج ؟ هذا لا يقوله إلا رجل جاهل بالدين الاسلامى أو زنديق مبتدع كما سبق القول . فتعاطى هذه المخدرات على أى وجه من وجوه التعاطى من أكل أو شرب أو شم أو احتقان ، حرام ، والأمر فى ذلك ظاهر جلى .

٢ — الاتجار بالمواد المخدرة واتخاذها وسيلة للربح التجارى :

إنه قد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أحاديث كثيرة فى تحريم بيع الخمر ، منها ما روى البخارى ومسلم عن جابر رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « إن الله حرم بيع الخمر والميتة والخنزير والأصنام » . وورد عنه أيضا أحاديث كثيرة مؤداها أن ما حرم الله الانتفاع به يحرم بيعه وأكل ثمنه . وقد علم من الجواب عن السؤال الأول أن اسم الخمر يتناول هذه المخدرات شرعا ، فيكون النهى عن بيع الخمر متناولا لتحريم بيع هذه المخدرات ، كما أن ما ورد من تحريم بيع كل ما حرمه الله يدل أيضا على تحريم بيع هذه المخدرات . وحينئذ يتبين جليا حرمة الاتجار فى هذه المخدرات واتخاذها حرفة تدر الربح ، فضلا عما فى ذلك من الاعانة على المعصية التى لا شبهة فى حرمتها لدلالة القرآن على تحريمها بقوله تعالى : « وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان » . ولأجل ذلك كان الحق ما ذهب اليه جمهور الفقهاء من تحريم بيع عصير العنب لمن يتخذه خمرا ، وبطلان هذا البيع لأنه إعانة على المعصية .

٣ — زراعة الخشخاش والحشيش بقصد البيع أو استخراج المادة المخدرة منهما للتعاطى أو للتجارة :

إن زراعة الحشيش والأفيون لاستخراج المادة المخدرة منهما لتعاطيها أو الاتجار فيها حرام بلا شك ، لوجوه :

أولا : ما ورد فى الحديث الذى رواه أبو داود وغيره عن ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن من حبس العنب أيام القطاف حتى يبيعه ممن يتخذه خمرا فقد تقحم النار » . فان هذا يدل على حرمة زراعة الحشيش والأفيون للغرض المذكور بطريق دلالة النص .

ثانيا : أن ذلك إعانة على المعصية ، وهى تعاطى هذه المخدرات أو الاتجار فيها ، وقد بينا فيما سبق أن الاعانة على المعصية معصية .

ثالثا : أن زراعتها لهذا الغرض رضا من الزارع بتعاطى الناس لها واتجارهم فيها ، والرضا بالمعصية معصية ، وذلك لأن إنكار المنكر بالقلب الذى هو عبارة عن كراهة القلب وبغضه للمنكر فرض على كل مسلم فى كل حال ، بل ورد فى صحيح مسلم عن رسول الله صلى الله عليه

وسلم : « إن من لم ينكر المنكر بقلبه — بالمعنى الذى أسلفنا — ليس عنـده من الايمان حبة خردل » . على أن زراعة الحشيش والأفيون معصية من جهة أخرى بعد نهى ولى الأمر عنها بالقوانين التى وضعت لذلك ، لوجوب طاعة ولى الأمر فيما ليس بمعصية لله ولرسوله باجماع المسلمين ، كما ذكر ذلك الامام النووى فى شرح مسلم فى باب طاعة الأمراء ، وكذا يقال هذا الوجه الأخير فى حرمة تعاطى المخدرات والاتجار فيها .

٤ — الربح الناجم من هذا السبيل :

قد علم مما سبق أن بيع هذه المخدرات حرام ، فيكون الثمن حراما :

أولا : لقوله تعالى : « ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل » أى لا يأخذ ولا يتناول بعضكم مال بعض بالباطل ، وأخذ المال بالباطل على وجهين :

الأول : أخذه على وجه الظلم والسرقة والخيانة والغصب وما جرى مجرى ذلك .

الثانى : أخذه من جهة محظورة كأخذه بالقمار أو بطريق العقود المحرمة كما فى الربا وبيع ما حرم الله الانتفاع به كالخمر المتناولة للمخدرات المذكورة كما بينا آنفا ، فان هذا كله حرام وإن كان بطيبة نفس من مالكه .

وثانيا : للأحاديث الواردة فى تحريم ثمن ماحرم الله الانتفاع به ، كقوله صلى الله عليه وسلم : « إن الله إذا حرم شيئا حرم ثمنه » . رواه ابن أبى شيبة عن ابن عباس .

وقد جاء فى زاد المعاد ما نصه : « قال جمهور الفقهاء : إنه إذا بيع العنب لمن يعصره خمرا حرم أكل ثمنه ، بخلاف ما إذا بيع لمن يأكله ؛ وكذلك السلاح إذا بيع لمن يقاتل به مسلما حرم أكل ثمنه ، وإذا بيع لمن يغزو به فى سبيل الله فثمنه من الطيبات ؛ وكذلك ثياب الحرير إذا بيعت لمن يلبسها ممن يحرم عليه لبسها حرم أكل ثمنها بخلاف بيعها ممن يحل له لبسها » اه .

وإذا كانت الأعيان التى يحل الانتفاع بها اذا بيعت لمن يستعملها فى معصية الله على رأى جمهور الفقهاء وهو الحق يحرم ثمنها لدلالة ما ذكرنا من الأدلة وغيرها عليه ، كان ثمن العين التى لا يحل الانتفاع بها كالمخدرات حراماً من باب أولى .

وإذا كان ثمن هذه المخدرات حراما كان خبيثا ، وكان إنفاقه فى القربات كالصدقات والحج غير مقبول أى لا يثاب المنفق عليه . فقد روى مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الله تعالى طيب لا يقبل إلا طيبا ، وإن الله تعالى أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين ، فقال تعالى : « يأيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا الآية » ، وقال تعالى : « يأيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله إن كنتم إياه تعبدون » . ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يده الى السماء يا رب يا رب

ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذى بالحرام فأنّى يستجاب لذلك ؟ » وقد جاء في الحديث الذي رواه الامام أحمد في المسند عن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « والذي نفسي بيده لا يكسب عبد مالا من حرام فينفق منه فيبارك له فيه ولا يتصدق فيقبل منه ولا يتركه خلف ظهره إلا كان زاده في النار ، إن الله لا يمحو السيء بالسيء ولكن يمحو السيء بالحسن ، إن الخبيث لا يمحو الخبيث » . وجاء في كتاب جامع العلوم والحكم لابن رجب أحاديث كثيرة وآثار عن الصحابة رضي الله عنهم في هذا الموضوع ، منها ما روى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من كسب مالا حراما فتصدق به لم يكن له أجر ، وكان إصره — يعني إثمه وعقوبته — عليه » ، ومنها ما في مراسيل القاسم ابن مخيمرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من أصاب مالا من مأثم فوصل به رحمه أو تصدق به أو أنفقه في سبيل الله ، جمع ذلك جميعا ثم قذف به في نار جهنم » .

وجاء في شرح ملاّ على القاري للأربعين النووية عن النبي صلى الله عليه وسلم : « أنه إذا خرج الحاج بالنفقة الخبيثة فوضع رجله في الغرز — أي الركاب — وقال لبيك ، ناداه ملك من السماء : لا لبيك ولا سعديك وحجك مردود عليك » .

فهذه الأحاديث التي يشد بعضها بعضا تدل على أنه لا يقبل الله صدقة ولا حجة ولا قربة أخرى من القرب من مال خبيث حرام . ومن أجل ذلك نص علماء الحنفية على أن الإنفاق على الحج من المال الحرام حرام . وخلاصة ما قلناه :

أولاً — تحريم تعاطي الحشيش والأفيون والكوكايين ونحوها من المخدر .

ثانيا — تحريم الاتجار فيها واتخاذها حرفة تدر الربح .

ثالثا — حرمة زراعة الأفيون والحشيش لاستخلاص المادة المخدرة لتعاطيها أو الاتجار فيها .

رابعا — أن الربح الناتج من الاتجار في هذه المواد حرام خبيث ، وأن إنفاقه في القربات غير مقبول بل حرام .

قد أطلت القول إطالة قد تؤدي الى شيء من الملل ، ولكني آثرتها تبيانا للحق ، وكشفا للصواب ، ليزول ما قد عرض من شبهة عند الجاهلين ، وليعلم أن القول بحل هذه المخدرات من أباطيل المبطلين وأضاليل الضالين المضلين ، وقد اعتمدت فيما قلت أو اخترت على كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، وعلى أقوال الفقهاء التي تتفق مع أصول الشريعة الغراء ومبادئها القويمة .

والحمد لله رب العالمين ، وهو الهادي الى سواء السبيل ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ؟

عبد المجيد سليم



وصلنا من تفسير سورة « الشمس وضحاها » الى قوله تعالى : « ونفسٍ وما سوّاها » :

يريد الحق سبحانه وتعالى أن يلفت نظر عباده الى أنفسهم وما فيها من العجائب والغرائب ، فقال : « ونفس وما سواها » : أى خلقها مستوية فى أحسن صورة من الصور فى ظاهرها وباطنها . وقد قال صلى الله عليه وسلم : « كل مولود يولد على الفطرة ، وإنما أبواه يهوّدانه أو ينصّرانه أو يمجّسانه » . وفى صحيح مسلم : « يقول الله : إنى خلقت عبادى حنفاء ، فجاءتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم » . وعلى كل حال فأقرب الأشياء الى الانسان نفسه ، فينبغى أن يتفكر فيها ، وكيف خلق من قطرة ماء مهين فصار إنسانا عاقلا يتيه على المخلوقات .

وحقا إذا تفكر الانسان فى نفسه استنارت له آيات الربوبية ، وسطعت له أنوار اليقين ، واضمحلت عنه غمرات الشك والريب ، وانقشعت عنه ظلمات الجهل . فانه إذا نظر فى نفسه وجد آثار التدبير فيه قائمات ، وأدلة التوحيد على ربه ناطقات ، شاهدات لمدبره ، دالة عليه ، مرشدة اليه ، إذ يجده مكونا من قطرة ماء مهين صارت لحوماً منضدة ، وعظاماً مركبة ، وأوصالا متعددة ، مأسورة مشدودة بحبال العروق ؛ والأعصاب قد شدت وجمعت بجلد متين ، مشتمل على ثلاثمائة وستين مفصلا ، على ما يقول الكثير من علماء التشريح الأولين ، ما بين كبير وصغير ، وثخين ودقيق ، ومستطيل ومستدير ، ومستقيم ومنحن ؛ وقد شدت هذه الأوصال بثلاثمائة وستين عرقا للاتصال والانفصال ، والقبض والبسط ، والمد والضم ، لأجل مختلف الصنائع التى تراد منها .

وجعل فيه تسعة أبواب ، فبابان للسمع ، وبابان للبصر ، وبابان للشم ، وبابان للكلام والطعام والشراب والتنفس ، وبابان لخروج الفضلات التى يؤدى احتباسها الى الأضرار البليغة ، وجعل داخل بابى السمع مرًّا قاتلا للحشرات لئلا يلج فيها دابة تخاص الى الدماغ فتؤذيه ، وجعل داخل بابى البصر مالحاً لئلا تذيب الحرارة الدائمة ما هنالك من الشحم ، وجعل داخل باب الطعام والشراب مهيأ لإساغة ما يأكله وما يشربه .

وجعل له مصباحين من نور كالسراج المضىء ، مركبين فى أعلى مكان منه ، وفى أشرف عضو من أعضائه طليعة له ، وركب هذا النور فى جزء صغير جدا يبصر به السماء والأرض وما بينهما ؛

وجعل العين مركبة من سبع طبقات وثلاث رطوبات بعضها فوق بعض ، حماية له وصيانة وحراسة ، وجعل عليها غلقا بمصراعين أعلى وأسفل ، وركب فى ذيل المصراعين أهدابا من الشعر وقاية للعين وزينة وجمالا . وجعل فوق ذلك كله حاجبين من الشعر يحفظان العين من العرق النازل ، ويتلقيان عنها ما ينصب من هناك . وجعل سبحانه لكل طبقة من العين وظيفة مخصوصة ، ولكل واحد من الرطوبات مقدارا مخصوصاً لو زاد على ذلك أو نقص عنه لاختلت المنافع وضاعت المصالح المطلوبة . وجعل هذا النور الباصر فى قدر عدسة ، ثم أظهر فى تلك العدسة صورة السماء والأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والعالم العلوى والسفلى مع اتساع أطرافه وتباعد أقطاره . واقتضت حكمته أن جعل فيها سبحانه بياضاً وسواداً ، وجعل القوة الباصرة فى السواد ، وجعل البياض مستقرا لها ومسكناً ، وزين كلا منهما بالآخر ، وجعل الحدقة مصونة بالأجفان والحواجب ، وجعلها سوداً ، إذ لو كانت بيضا لتفرق النور الباصر فضعف الإدراك ، فان السواد يجمع البصر ويمنع من تفرق النور ، وخلق سبحانه لتحريك الحدقة وتقليبها أربعا وعشرين عضلة لو نقصت عضلة واحدة لاختل أمر العين .

ولما كانت العين كالمرآة التى إنما تنطبع فيها الصور إذا كانت فى غاية الصقالة والصفاء ، جعل سبحانه الأجفان متحركة بغاية السهولة فى الانطباق والانفتاح بلا تكلف ، لتبقى هذه المرآة نقية صافية من جميع الكدورات . ولهذا لما لم يخلق لعين الذبابة أجفانا لا نزال نراها تنظف عينها بيدها من آثار الغبار والكدورات .

وكما جعل سبحانه العينين مؤديتين للقلب ما يريانه فيوصلانه اليه ، جعلهما مرآتين للقلب يظهر فيهما ما هو مودع فيه من الحب والبغض والخير والشر والبلادة والفطنة والزيغ والاستقامة ، فيستدل بأحوال العين على أحوال القلب ، وهو أحد أنواع الفراسة . فالعين مرآة للقلب وطليعة ورسول . ومن عجيب أمرها أنها من ألطف الأعضاء وأبعدها تأثرا بالحر والبرد . وليس ذلك بسبب الغطاء الذى عليها من الأجفان ، فانها ولو كانت منفتحة لم تتأثر بذلك مع أنها من الأعضاء اللطيفة .

هذا بعض ما ذكره علماؤنا الأقدمون ، وللأطباء العصريين ما هو أعجب وأغرب . ولعلك اطلعت على بعض ما اكتشفوه من أسرار الغدد التى كانت مجهولة . وقد قال بعض فلاسفة الأوربيين : يكفينى هدب العين فى الدلالة على الله . الى آخر كلامهم فى هذا .

ولعلنا لا نعدم فرصة تمكننا من العودة لهذا الموضوع مرة أخرى ، إن شاء الله ؟

يوسف الدجوى
من جماعة كبار العلماء

السنة

كيف كان يدعو النبي أمته الى توحيد الله

عن يحيى بن عبد الله بن محمد بن صيفي أنه سمع أبا معبد مولى ابن عباس يقول : سمعت ابن عباس يقول : « لما بعث النبي صلى الله عليه وسلم معاذا نحو اليمن قال له : إنك تقدم على قوم من أهل الكتاب ، فليكن أول ما تدعوهم الى أن يوحدوا الله تعالى ، فإذا عرفوا ذلك فأخبرهم أن الله فرض عليهم خمس صلوات فى يومهم وليلتهم ، فإذا صلوا فأخبرهم أن الله افترض عليهم زكاة فى أموالهم تؤخذ من غنيهم فترد على فقيرهم ، فإذا أقروا بذلك فخذ منهم وتوق كرائم أموال الناس » .

يتعلق بشرح هذا الحديث أمور : (١) بيان معنى توحيد الإله عز وجل ؛ (٢) بيان ما يجب على الداعى الى الله من مراعاة حال المدعوين ؛ (٣) بيان أن الصلاة أساس الأعمال الدينية وقوام التكاليف الشرعية .

(١) ظاهر هذا الحديث أن اليهود القاطنين باليمن يومئذ لم يكونوا موحدين على الوجه الذى يرتضيه الاسلام ؛ وذلك لأن بعضهم كان يعتقد أن عزيراً ابن الله ، فضلا عن أن التوراة نفسها تشهد عليهم بأنهم كانوا مغرمين بالوثنية الى أبعد مدى ، فكانوا ينتهزون الفرصة للتخلص من الشريعة التى جاءهم بها موسى ويعبدون ما يشتهون من الأوثان ؛ فما من عصر من عصورهم الأولى إلا وفيه شاهد عليهم بالكفر ، والتدين بعبادة الأوثان . فاليهود الذين كانوا فى اليمن يومئذ لم يكونوا أمثل من غيرهم .

على أنهم قد حرفوا التوراة تحريفا شائنا حتى رووا فيها أن يعقوب عليه السلام قابله ربه فى الليل وصارعه فضايق ربه ، تعالى عما يقولون ، ولم يستطع ربه الخلاص منه إلا بعد أن ضربه على فخذه فكسر فخذه ، وبعد ذلك هنأه ربه بالفوز والغلبة . والذى يعتقد ذلك ليس وثنيا فحسب ، بل هو سخيف الى أبعد مدى ؛ لأن الوثنيين كانوا يعتقدون عظمة أوثانهم وقدرتها على الضر والنفع ، فلا يستطيع مخلوق أن يغلب الروح المتسلطة على الوثن . فقول النبى صلى الله عليه وسلم لمعاذ : « فليكن أول ما تدعوهم الى أن يوحدوا الله تعالى » ظاهر لا ريب فيه ؛ لأن مراده عليه الصلاة والسلام بالتوحيد ، التوحيد الخالص الذى جاءت به كل الشرائع

الإلهية ، وهو أن خالق الكائنات وبارئ النسم إله واحد مجرد عن المادة وعلائقها ، ليس كمثله شيء ، ولا هو مثل شيء ، فكل ما تحتاج إليه الأجسام من مكان ومادة وتحيز ، وما يلابس ذلك من شهوة ولذة وألم ، يتنزه عنه الإله تعالى ؛ وكل ما تحتاج إليه الموجودات فى هذا العالم من وسائل مادية مخلوق لله وحده ، ومسيطر عليه وحده ، فلا شريك له فى شيء ، ولا منازع له فى إيجاد نسمة أو إعدامها .

ذلك هو معنى التوحيد الذى يعنيه الاسلام ؛ وهذا المعنى متفق عليه عند كل المسلمين الموحدين . أما ما وراء ذلك من بحوث فلسفية ومذاهب صوفية فى معنى التوحيد والوحدة ، فانه يجب أن يكون بعيدا عن هذا المقام كل البعد ؛ لأن الدين الاسلامى إنما يدعو الناس جميعا الى توحيد الاله : « قل يأيها الناس إنى رسول الله اليكم جميعا » ؛ وليس من المعقول أن تكون الدعوة العامة مطابقة لأهواء أولئك المعقدين الذين ينطقون بما لا تدركه عقول الأذكياء من العلماء فضلا عن عامة الناس . محال أن يكون المراد من التوحيد الذى يدعو اليه الاسلام هو وحدة الوجود . وما هى وحدة الوجود ؟ هى ألفاظ سمجة لا تسيغها العقول السليمة ، ولا ترتضيها الأذهان الناضجة ؛ لأن منهم من فسرها بالحلول كما يقول النصارى بحلول الإله فى المسيح ؛ ولا يخفى ما فى ذلك من سخافة ينبو عنها الدين . ومنهم من فسرها بأن الموجودات كلها مظهر لوجود الإله ؛ وإذا سألته عن معنى ذلك يقول لك : أنا الله ، وما فى ملابسى غير الله ، ونحو ذلك . ومنهم من فسرها بأن الوجود نور والعدم ظلمة ، وأصل الوجود وجود الله تعالى ، فوجود الله تعالى وجود العالم ، لأنه سبحانه نور كلى أشرقت به الكائنات ، فوجود الكائنات وجوده . الى غير ذلك من العبارات التى لم يكلف الله بها عباده ، وتأباها طبيعة الاسلام الذى هو دين الفطرة والسماحة والعلم الصحيح النافع للمجتمع الانسانى فى كل زمان ومكان .

ومن هذا تعلم معنى الدعوة الى توحيد الله ؛ فليست هى التوحيد الذى كان عليه اليهود يومئذ ؛ وليست هى التوحيد الذى يريده غلاة الصوفية ؛ وقد بينا لك بعض ما فى ذلك من خلل واضطراب .

ولنذكر لك عبارة الفتح هنا فى نقل ما قاله غلاة الصوفية ، قال ما معناه : لقد بالغ بعضهم حتى ضاهى المرجئة فى نفى نسبة الفعل الى العبد ، وجر ذلك بعضهم الى معذرة العصاة . ثم غلا بعضهم فعذر الكفار أيضا . ثم غلا بعضهم فزعم أن المراد بالتوحيد اعتقاد وحدة الوجود ، وعظم الخطب حتى ساء ظن كثير من أهل العلم بمتقدميهم . الى أن قال : ولهم كلام طويل فى وحدة الوجود ينبو عنه سمع كل من كان على فطرة الاسلام ... انتهى .

وهذا كلام حسن لاشك فيه ، فإن الدين الاسلامى ليس دينا معقدا لا تدركه العقول السليمة ، وليس فيه على الناس خفاء . فكل شيء يلصقه به المتنطعون من الغموض والإبهام فانما إثمه عليهم ، وهو منه ومنهم براء .

على أن بعض رواة الحديث تخلص من هذا الموضوع بحذافيره ، فقال : إن لفظ الحديث « فليكن أول ما تدعوهم اليه عبادة الله » ، وعلى هذا فلم يتعرض لعقيدة اليهود الذين هم من أهل الكتاب ، وكانوا مستعدين لقبول الاسلام ، فان ظاهر حالهم أنهم كانوا موحدين . وقد عرفت أن صحة الرواية الثانية لا يضيرنا ، لأنهم على أى حال كانوا يؤمنون بالتوراة المحرفة فى نظر الدين الاسلامى يومئذ ، وهى أصل من أصول العقائد . فقول النبى صلى الله عليه وسلم : « ادعهم الى توحيد الإله » صحيح لا شك فيه .

بقى هنا بحث آخر ذكره شراح هذا الحديث وأطنبوا فيه كثيرا ، وهو أن أول واجب على المكلف إنما هو النظر فى الكائنات لإثبات الإله الواحد ، وهذا النظر مقيد بما جاء به الرسول عليه الصلاة والسلام من كتاب وسنة ؛ ومعنى هذا أنه لا فائدة فى النظر لأن المفروض ترك الحرية للعقل حتى يستنبط الدليل من الكائنات .

والجواب عن ذلك سهل هين لا تعقيد فيه : وذلك لأن المفروض قبل كل شىء ثبوت نبوة هذا الرسول وأنه من عند الله ، فاذا ثبت صدق رسالة النبى صلى الله عليه وسلم بالبراهين القاطعة والمعجزات الدائمة المتواترة ، أصبح من الضرورى تصديق كل ما جاء به من عند الله ، فليس التقيد بما جاء به القرآن ووردت به السنة الصحيحة تقليدا ، وإنما هو إيمان بقضايا مبنية على أجل البراهين وأوضحها وأقواها . على أننا نقول أيضا : إن كتاب الله هو الذى حث على النظر والاستدلال ، والآيات الواردة فى ذلك أكثر من أن تحصى . فالعقل يفكر ويتأمل ويركب الأدلة والمقدمات ويقف على النتائج ، وكتاب الله يحفظه من الزيغ والزلل ؛ لأن العقول البشرية مهما أوتيت من ذكاء وصفاء فهى عرضة للخطأ والزلل ؛ أما الرسل فهم معصومون عن الخطأ فيما يبلغونه عن ربهم . ومع هذا كله فالدين الاسلامى قد أطلق لعقول الناظرين العنان فى البحث والاستدلال ، وتحداهم فى كل ما جاء به من الأحكام ، وجادل المبطلين فى كل ما أوردوه من شبه ، فبرهن على خطئهم بأوضح الأدلة وأصدق المقدمات ، ولم يأت بشىء يعارض العقول السليمة والنظر الصحيح ، ولم يكلف الناس أن يؤمنوا بالمحال الذى لاتقبله العقول ولا تدركه الأفهام ، عملا بالقاعدة المعروفة عند بعض الأمم « الدين فوق العقل » ، وما ذاك إلا لكونه حقا لا يرهب نزغات المبطلين ، وقوة لا تخشى هجمات الضالين .

بقى هنا شىء آخر ، وهو إيمان المقلد الذى لا يستطيع النظر والاستدلال ، فانه على هذا لا يكون صحيحا .

والجواب عن هذا أيضا سهل : وهو أن إيمان المقلد الذى يعجز عن الاستدلال صحيح بلا شك ، لأن الله تعالى لا يكلف نفسا إلا وسعها ، أما الذين يستطيعون الادراك والفهم ويعرفون معنى الأدلة والبراهين ، فانه يجب عليهم أن يتعلموا بلا نزاع ، وإلا كانوا على خطر عظيم .

(٢) لعل الذين يقومون بالدعوة الى الله يسترشدون بقول النبي صلى الله عليه وسلم للدعاة ، ويتتبعون الآثار التى بينها لهم . فانه صلى الله عليه وسلم أمر معاذا أن ينظر الى حال هؤلاء القوم الذين بعثه اليهم ، فلا يرهقهم بالتكاليف الشرعية قبل أن يستقر الإيمان فى قلوبهم ويبعثهم الى الطاعة فيما يأمرون به وينهون عنه ، فقال له : لا تأمرهم بعد توحيد الإله إلا بالصلاة ، وهى سهلة سمحة لا مشقة فيها على المؤمنين . فاذا قاموا بأداء الصلاة كاملة وأدوها لربهم بخشوع وخضوع فانهم يستعدون بعد ذلك لقبول ما يكلفون به من زكاة وغيرها . ثم أرشده صلى الله عليه وسلم الى استعمال الرفق فى أخذ الزكاة ، فنهاه عن أخذ كرائم أموال الناس التى تعز عليهم ولا تسمح أنفسهم بالتفريط فيها . وذلك خير مثال للمرشدين الذين يريدون إصلاح المجتمع الانسانى ، ومعالجة مرض النفوس ومرض الشهوات القاتلة .

(٣) أما كونه صلى الله عليه وسلم قد حث معاذا على العناية بالصلاة ، فذلك لأن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر . ولعل الناس الذين يصلون ولا ينتهون عن الفحشاء والمنكر لا يشعرون قلوبهم بعظمة الإله الخالق الذى يقومون بين يديه ركعا سجدا . فليس الغرض من الصلاة فى الواقع مجرد الحركات والسكنات فحسب ، بل الغرض منها تهذيب النفوس وتطهير القلوب بالخضوع للإله الخالق لجميع الكائنات ، المهيمن القدير الذى لا ينبغى لأحد غيره أن يخضع له العباد هذا الخضوع . فإذا ما قام العبد فى اليوم والليلة بخمس صلوات على هذا الوجه وهو خاشع خاضع لمولاه فإنه لا بد أن ينتهى عن الفحشاء والمنكر ، ولا بد أن تثبت فى نفسه عظمة الإله الخالق ، ولا بد أن يدرك تمام الإدراك معنى تلك العظمة ، ويخاف كل الخوف من عصيان ذلك الخالق العظيم الذى أفاض الوجود على مخلوقاته ، وأمدهم بكل ما يحتاجون إليه فى معاشهم ومعادهم . فلعل الناس يدركون معانى التكاليف الشرعية ويعملون بها ، ويقتدون فى أقوالهم وأعمالهم بما جاءهم على لسان نبيهم لعلهم يرشدون ؟

عبد الرحمن الجزيرى

آداب عيادة المريض

قال شاعر :

عيادة المرء يوم بين يومين ـــ وجلسة لك مثل اللحظ بالعين
لا تبرمن مريضا من مساءلة ـــ يكفيك من ذاك تسآل بحرفين

ومرض يحيى بن خالد الوزير ، فكان اسماعيل بن صبيح إذا دخل عليه يعوده ، وقف عند رأسه ودعا له ، ثم يخرج فيسأل حاجبه عن منامه وطعامه وشرابه ، فلما أبل يحيى من مرضه قال : ما عادنى فى مرضى هذا إلا اسماعيل بن صبيح .

التجديد والمجددون فى الاسلام

الامام الأعظم أبو حنيفة — دراسات فى مذهبه وطبقات فقهائه

سـند المذهب وتواتره :

أخذ أبو حنيفة الفقه عن حماد بن أبى سليمان التابعى ، مفتى الـكوفة ، أفقه أهل عصره ، مضرب المثل فى العلم والفضل والمـكارم ، كان يفـطر فى كل ليلة من شهر رمضان خمسين صائما ، فاذا كانت ليلة الفطر كساهم ثوبا ، وأعطاهم مائة مائة من الدراهم .

وقال الامام أبو يوسف : ما رأيت أجود من أبى حنيفة ، وكنت أقـول له : ما رأيت أجود منك ، فيقول لى : لو رأيت حمادا !

ومن تقـدير أبى حنيفة لشيخه حماد وبره به ، أنه كان يقول : ما مددت رجلى نحو دار أستاذى حماد إجلالا له ، وما صليت منذ مات حماد صلاة إلا استغفرت له مع والدى ، وإنى لأستغفر لمن تعلمت منه أو تعلم منى . هذا هو الأدب العالى الذى يجب أن يكون عليه طالب العلم مع أستاذه . مات حماد سنة (١٢٠) ﻫ .

أخذ حماد عن ابراهيم النخعى فقيه العراق ، ومفتى الـكوفة قبل حماد ، الذى يقول فيه مغيرة : كنا نهاب ابراهيم كما يهاب الأمير . ويقول فيه الشعبى : ما ترك إبراهيم بعده أعلم منه . ويقول فيه سعيد بن جبير : تستفتوننى وفيكم ابراهيم النخعى ! وكان من العلمـاء ذوى الاخلاص ، وكان يتوقى الشهرة ، ولا يتـكلم فى العلم إلا أن يسأل ، فـكان أبو حنيفة ألزم العلماء بمذهب ابراهيم هـذا وأمثاله ، لا يجاوزه إلا ما شاء الله . توفى إبراهيم سنة ٩٥ أو ٩٦ ﻫ .

أخـذ ابراهيم عن علقمة ، ومسروق ، والأسود ؛ أما علقمة فقد كان فقيه العـراق ، ويقول فيه ابن مسعود : ما أقرأ شيئا ، وما أعلم شيئا إلا وعلقمة يقرأه أو يعلمه . ويقول فيه قابوس : أدركت ناسا من الصحابة يسألون علقمة ويستفتونه . سمع عمر وعثمان وعليا ، وتفقه بابن مسعود ، وكان أنبل أصحابه .

وقال الذهبى : كان علقمة إماما فقيها بارعا ثبتا فيما ينقل ، طيب الصوت بالقرآن ، صاحب خير وورع ، وكان يشبه ابن مسعود فى هديه ودله وسمته وفضله . توفى سنة ٦٢ أو ٦٣ ﻫ .

وأما مسروق : فهو الامام القدوة الفقيه أحد الأعـلام ، روى عن أبى بكر وعمر وعلى وغيرهم ، وهو راوية عمر الناقل عنه الـكثير من فقهه وقضاياه ، كان أعلم بالفتوى من شريح ، وكان شريح يستشيره ويستفتيه . توفى سنة ٦٣ ﻫ .

وأما الأسود : فهو عالم الكوفة ، وأحد كبار فقهاء التابعين ، أخذ عن معاذ وابن مسعود وغيرهما . توفى سنة ٧٤ هـ .

فهؤلاء من كبار فقهاء التابعين ، وقد أخذوا الفقه عن فقهاء الصحابة خصوصا عن ابن مسعود ، فإن الفقه انتشر عن أربعة : ابن مسعود وأصحابه وهم العراقيون ، وزيد ابن ثابت ، وعبد الله بن عمر وأصحابهما وهم أهل المدينة ، وابن عباس وأصحابه وهم أهل مكة ، وأخذ فقهاء الصحابة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عن رب العالمين . فالفقه الاسلامى إذاً مؤسس بالوحى الإلهى المبين فى كتاب الله تعالى ، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم .

من هذا يعلم المصدر الذى أخذ أبو حنيفة الفقه عنه . وحسب هذا الفقه أنه نظم حال الهيئة الاجتماعية وأحوال الانسان الدينية والدنيوية من مولده الى مماته ، فأنس به المسلمون ، ومازج أرواحهم مدة أربعة عشر قرنا ، وفيه مرآة مشاعرهم ، وعلاج أمراضهم الاجتماعية .

ثم انتقل الفقه من أبى حنيفة الى أصحابه ، ومنهم الى تلاميذهم ، وهكذا صار ينتقل من طبقة الى طبقة قرنا بعد قرن حتى وصل إلينا متواترا محفوظا . ولقد أيد الله المذهب الحنفى بالفقهاء الأعلام من المتقدمين والمتأخرين ، فجددوا ديباجته ، ووطدوا قواعده ، وقرروا حججه ، وبسطوا أدلته ، وبثوه فى أقطار الأرض ، فلم يزل موروثا من أول الى آخر ، ومنقولا من كابر الى كابر ، حتى انتهى إلينا مدونا فى صحائف الكتب محررا ، مشيد البنيان ، الى هذا الزمان ، وسيبقى باذن الله مصونا من الاختلال منتفعا به الى ما شاء الله .

العلماء الذين حملوا لواء هذا المذهب بعد أبى حنيفة طبقات :

الطبقة الأولى : طبقة المجتهدين فى المذهب وهم تلاميذ أبى حنيفة وأصحابه : أبو يوسف ومحمد ، وزفر ، والحسن ، وغيرهم ، الذين كانوا يجتهدون فى المذهب ويستخرجون الأحكام من الأدلة الأربعة على مقتضى القواعد التى قررها أستاذهم أبوحنيفة ، وهم وإن خالفوه فى بعض الفروع قد قلدوه فى قواعد الأصول ، بخلاف الأئمة : مالك والشافعى وأحمد وغيرهم ، فانهم يخالفون أبا حنيفة فى الفروع غير مقلدين له فى الأصول .

والطبقة الثانية : طبقة المجتهدين فى المسائل التى لا رواية فيها عن صاحب المذهب : كالخصاف ، وأبى جعفر الطحاوى ، وأبى الحسن الكرخى ، وشمس الأئمة الحلوانى ، وشمس الأئمة السرخسى ، وفخر الاسلام البزدوى ، وفخر الدين قاضيخان ، والصدر برهان الدين محمود صاحب المحيط البرهانى ، وطاهر بن أحمد صاحب خلاصة الفتاوى ، وشيخ الحنفية بما وراء النهر ، وغيرهم ، فانهم يقدرون على الاجتهاد فى المسائل التى لا رواية فيها عن صاحب المذهب ، ويستنبطون أحكامها على حسب أصول قررها ومقتضى قواعد بسطها ، ولا يقدرون على مخالفته لا فى الأصول ولا فى الفروع .

الطبقة الثالثة : طبقة أصحاب التخريج : كالرازى المعـروف بأبى عباس وأضرابه ، فانهم لا يقدرون على الاجتهاد أصلا ، لـكنهم لإحاطتهم بالأصـول ، وضبطهم المآخذ ، يقدرون على تفصيل قول مجمل ذى وجهين ، وحكم مبهم محتمل لأمرين ، منقول عن صاحب المذهب أو عن أحد من أصحابه المجتهدين ، برأيهم ونظرهم فى الأصول ، والمقايسة على أمثاله ونظائره من الفروع ؛ وما وقع فى بعض المواضع من الهداية من قوله : كذا فى تخريج الـكرخى ، وتخريج الرازى من هذا القبيل .

الطبقة الرابعة : طبقة أصحاب الترجيح : كأبى الحسين أحمد القدورى ، وشيخ الاسلام برهان الدين صاحب الهـداية وأمثالها ، وشأنهم تفضيل بعض الروايات على البعض الآخر ، كقولهم : هذا أولى ، وهذا أرجح رواية ، وهـذا أوضح دراية ، وهذا أوفق للقياس .

الطبقة الخامسة : طبقة القادرين على التمييز بين الأقوى والقوى والضعيف ، وظاهر الرواية ، والروايات النادرة : كشمس الأئمـة محمد الـكردرى صاحب الفتاوى البزازية ، وجمال الدين الحصيرى صاحب الخلاف بين الحنفية والشافعية ، وحافظ الدين النسفى ، وغيرهم ، مثل أصحاب المتون المعتبرة من المتأخرين : كصاحب الـكنز ، وصاحب المختار ، وصاحب الوقاية ، وصاحب المجمع ؛ وشأنهم أن لا ينقلوا فى كتبهم الأقوال المردودة والروايات الضعيفة .

الطبقة السادسة : طبقة المقلدين الذين لا يقدرون على ما ذكر ، فهؤلاء لا يحل لهم أن يفتوا إلا بطريق الحـكاية والنقل عن الـكتب المعتبرة والفقهاء المعتمدين .

هـذه قسمة شهيرة لطبقات فقهاء المذهب الحنفى ، ذكرها كثيرون من محققيهم وأثنوا عليها ، حتى قال التميمى فى طبقاته : هذا التقسيم حسن جدا بعد أن ذكره ، ومع هذا فالاختلاف من طبائع البشر ، وقد لا تعدم الحسناء ذاما ، فقد لاحظ عليه بعضهم ؛ ولاستيفاء هذا البحث نذكر مضمون ملاحظاته ، قال :

(١) إن القول بأن الخصاف والطحاوى والـكرخى لا يقـدرون على مخالفة أبى حنيفة لا فى الأصول ولا فى الفروع ليس بشىء ، فان ما خالفوه من المسائل لا يعد ولا يحصى ، ولهم اختيارات فى الأصول والفروع ، وأقوال مستنبطة بالقياس والمسموع ، واحتجاجات بالمعقول والمنقول ، على مالا يخفى على من تتبع كتب الفقه والخلافيات والأصول . وقـد انفرد الـكرخى عن أبى حنيفة وغـيره فى أن العـام بعد التخصيص لا يبقى حجة أصلا ، وأن خبر الواحد الوارد فى حادثة تعم بها البلوى ومتروك المحاجة به عند الحاجة ليس بحجة قط . وانفرد أبو بكر الرازى الجصاص فى أن العـام المخصوص حقيقـة إن كان الباقى جمعا ، وإلا فمجاز ، أليس هذا من مسائل الأصول ؟ ...

(٢) وإن القول بأن أبا بكر الرازى الجصاص من المقلدين الذين لا يقدرون على الاجتهاد أصلا ظلم عظيم فى حقه ، وتنزيل له عن رفيع محله ، وغض منه ، وجهل بين بجلالة شأنه فى العلم وباعه الممتد فى الفقه ، وكعبه العالى فى الأصول ، ورسوخ قدمه وشدة وطأته وقوة بطشه فى معارك النظر والاستدلال ؛ ومن تتبع تصانيفه والأقوال المنقولة عنه علم أن الذين عدهم من المجتهدين من شمس الأئمة ومن بعده كلهم عيال لأبى بكر الرازى . قال شمس الأئمة الحلوانى فيه : هو رجل كبير معروف فى العلم ، وإنا نقلده ونأخذ بقوله ، فكيف يصح تقليد المجتهد المقلد ؟ ! وقال قاضيخان فى التوكيل بالخصومة : يجوز للمرأة المخدرة أن توكل . كذا ذكره أبو بكر الرازى ؛ وقال صاحب الهداية : لو كانت المرأة مخدرة قال الرازى يلزم التوكيل منها ، ثم قال : وهذا شىء استحبه المتأخرون . وقال ابن الهمام : هو الامام الكبير أبو بكر الجصاص أحمد بن على الرازى ، والفتوى على ما اختاره فى مسألة المرأة المخدرة .

والقول بأن القدورى وصاحب الهداية من أصحاب الترجيح ، وقاضيخان من المجتهدين ، فيه نظر ، لتقدم القدورى على شمس الأئمة زمانا ؛ وكونه أعلى منه كعبا وأطول باعا ، فكيف من قاضيخان ؟ وأما صاحب الهداية فهو المشار اليه فى عصره ، المعقود عليه الخناصر فى دهره ، وقد ذكر فى الجواهر وغيرها أنه أقر له أهل عصره بالفضل والتقدم كقاضيخان والعتابى وغيرهما وقالوا : إنه فاق على أقرانه حتى على شيوخه فى الفقه ، فكيف ينزل شأنه عن قاضيخان ؟ بل هو أحق منه بالاجتهاد وأثبت فى أسبابه وألزم لأبوابه .

(٣) والقول بأن أبا يوسف ومحمدا مجتهدان فى المذهب فيه نظر ؛ وإنما هما مجتهدان مطلقان مستقلان ؛ وإنما عد مذهب أبى يوسف ومحمد مع مذهب أبى حنيفة مذهبا واحدا مع مخالفتهما له فى كثير من الأصول والفروع لأنهما لم يتجاوزا عن محجة ابراهيم النخعى وغيره من علماء الكوفة ؛ ولكنهم لحسن تعظيمهم لأستاذهم أبى حنيفة ، وفرط إجلالهم لمحله ، ورعايتهم لحقه ، تعاونوا على التنويه بشأنه ، والاحتجاج لأقواله وروايتها للناس ، وتجردوا لتحقيق فروعها وتعيين أبوابها وفصولها ، لاعتقادهم أن أبا حنيفة أعلم وأورع وأحق للاقتداء به ، والأخذ بقوله ، وأوثق للمفتى ، وأرفق للمستفتى . ومقام أبى حنيفة فى الفقه لا يلحق ، كما شهد له بذلك أهل فنه خصوصا مالكا والشافعى ، ومن ذلك الوجه امتاز أبو يوسف ومحمد عن المخالفين لأبى حنيفة لا لأنهم لم يبلغوا درجة الاجتهاد المطلق فى الشرع ، ولو أنهم أولعوا بنشر آرائهم بين الخلق لكان لكل منهما مذهب منفرد عن مذهب الامام أبى حنيفة مخالف له ؛ ولكل وجهة هو موليها ؟

السيد عفيفى

بين رجال الدين والفلسفة

– ٢ –

كتبت الكلمة الأولى من هذا البحث ، وما كنت أتوهم أن تكون سببا للتعقيب عليها من حضرة . . . . . . رئيس التحرير فى نحو ثمان صفحات فى نفس العدد الذى ظهرت به . ذلك أنى عنيت – كدأبى دائما – بنسبة كل حقيقة علمية أو نقل تاريخى للمرجع الذى رجعت إليه بكل دقة ووضوح . هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فإن الكلام لا يزال فى أوله ومقدماته ، ولم نصل الى موضع بيان الرأى الذى أراه فى الخلاف بين رجال الدين والفلسفة ، حتى يصح أن يتوجه عليه نقد مهما كان أمره . على أنى وقد تفضل حضرة الأستاذ الجليل بالتعقيب الذى أشرت إليه لا أجد بدّا من تناوله بكلمات موجزات قبل متابعة الحديث فيما رأيت بحثه من أمر العلاقة بين رجال الدين والفلسفة .

(١) القارئ للتعليق المذكور يعتقد – كما قال السيد الأستاذ – « أنى سردت تاريخ المسلمين فى مجافاة الفلسفة اليونانية متابعين فى ذلك أئمتهم » ، مع أنى لم أتكلم إلا عن جانب من موقف رجال الدين من علماء الكلام ورجالاته ، ولم أشرع بعدُ فى بيان موقفهم من الفلسفة والفلاسفة ؛ كما يعتقد أنى قد أدليت برأيى فى هذا الموقف ورأيت ما يراه الفرنجة الذين يعللونه بجهل أئمة المسلمين والرغبة فى استبقاء سلطانهم على العامة . هكذا قال السيد الأستاذ الجليل ، وسارع فقرر أن بحث مسألة الفلسفة على هذا الوضع لا يؤدى لحسم مادة الخصومة بينها وبين الاسلام ، مع أنى أيضا لم أصل الى الكلام على بواعث تلك الخصومة وتحديدها حتى يمكن أن يقال إنى ذهبت الى هذا الرأى أو ذاك ، وإن ما رأيته يتفق ورأى الفرنجة .

(٢) وأحب لهذه المناسبة أن أذكر فى صراحة أنى مع انتفاعى الى حد كبير ببحوث الفرنجة ودراسات المستشرقين ، وبما عرّفونا به من مصادر لها خطرها وقيمتها فى بحث تاريخنا العلمى ، لا أرضى لنفسى أن أكون تابعا لأحد منهم فيما يرى عن هوى أو تقليد . إننى أومن بضرورة الرجوع للمصادر الأصلية العربية التى رجعوا إليها وتفهمها واستنتاج ما يجب استنتاجه منها ؛ فنحن أقدر منهم بلا جدال على فهم العربية وأساليبها ، وإن كانت الأيام وعوادى الزمن مكنتهم من الاطلاع على مراجع لا نجدها بين أيدينا بفضل كسلنا وإهمالنا تراثنا العلمى المجيد ! .

(٣) لا يرى بعد هذا صاحب العزة رئيس التحرير أن من المعقول أن يعادى الأئمة الفلسفة اليونانية مع حثهم ذويهم على الأخذ بما نضج من ثمرات العلم مهما كان مصدره . ولست أتقدم للقارئ فى هذا إلا بوجوب التريث حتى أتكلم عن موقف رجال الدين من

الفلسفة ، فيتبين من الوقائع والحالات التاريخية الثابتة كيف أن هذا الذى يراه عزته غير معقول هو الذى كان ! وإنما أتعجل فأشير الى حادث إحراق كتب عبد السلام بن عبد القادر المعروف بالدكن ، وهو ـ كما يقول القفطى (١) ـ من بيت تصوف وتعبد ، قرأ علوم الأوائل فأجادها ، لحسده أرباب الشر واتهموه بالاعتداد بأقوال الفلاسفة ، فصدر الأمر بأحراق كتبه فى حفل كبير ، وتولى كبر هذا العمل عبدالله التيمى البكرى المعروف بابن المارستانية . جعل لعبد الله هذا منبر صعدعليه ، وبدأ تنفيذ ما أمر به بخطبة لعن فيها الفلاسفة ومن يقول بقولهم ، وذكر الدكن عبد السلام بشَر ، وكان يخرج الكتب التى له كتابا كتابا فيتكلم عليه ويبالغ فى ذمه وذم مصنفه ثم يلقيه من يده لمن يلقيه فى النار ! والذى يهمنا أكثر ، هو أنه ـ كما يرويه للقفطى شاهد عيان ـ لما وصل الى كتاب الهيئة لابن الهيثم قال ، وهو يشير الى الدائرة التى مثل بها الفلك : « وهذه الداهية الدهياء ، والنازلة الصماء ، والمصيبة العمياء » ! وبعد تمام كلامه خرقها وألقاها فى النار ! فهل لا يعد هذا جهلا وتعصبا ؟ ! وأخيرا انتهى الأمر بسجن عبد السلام عقابا على أنه كان له فضل عقل فاستعمله فيما أمر الله به من النظر فى الوجود وملكوت السموات والأرض ، واستمر فى السجن حتى أفرج عنه عام ٥٨٩ هـ . كما أشير أيضا الى فتوى ابن الصلاح والنواوى بتحريم دراسة المنطق ! والى الحكم بالإلحاد ـ إن لم يكن بالكفر ـ على الأستاذ الامام الشيخ محمد عبده لتدريسه العلوم الحديثة بالأزهر ، ومنها الحساب والجغرافيا ! جهلا وحسدا وبغيا أن يؤتى الله من فضله من يشاء من عباده ، كما حدثنا بذلك منذ قريب حضرة صاحب الفضيلة مولانا الأستاذ الأكبر الشيخ المراغى فى ذكرى الأستاذ الامام .

(٤) بقى بعد هذا تأكيد السيد الأستاذ « بأن القرآن جاء للمسلمين بفلسفة تبز فى سموها أرقى فلسفة ، وأطلق عليها ما يقابل هذه الكلمة من اللغة العربية ، وهى : الحكمة » . هذا الموضوع لا يحسن أن يمس مسا رفيقا فى مقال أو مقالين ، بل يجب أن يبحث فى دقة وعناية بحثا تدعمه الأدلة والأسانيد ، وليس هذا موضعه ، ولا يتصل بما جملته عنوانا عاما للكلمات التى اعتزمت كتابتها . ولكن يجب مع هذا أن نقول بأن كلمة الحكمة كما وردت فى القرآن لا تدل على ما يراد فى اصطلاح العلم بكلمة فلسفة ، حتى ما كان منها قائما على النظر الصحيح . وأعتقد الأمر فى هذا واضحا يكفى فى التثبت منه أن يتصفح القارئ أى كتاب من كتب التفاسير المعتبرة ، فيرى أن كلمة الحكمة فى الآيات التى ذكرها صاحب العزة الأستاذ الجليل وأمثالها يراد بها السنة النبوية ، أو الأحكام والشرائع كما يذكر أبو السعود ، أو القضاء بالوحى كما يقول القرطبى . وأين هذا من الفلسفة التى حاول كثير من المفكرين التوفيق بينها وبين الدين !

---

(١) أخبار الحكماء ص ١٥٤ .

ومهما يكن فان مما لا ريب فيه أن كلمتى التى كانت سبب هـذا التعقيب الطويل كانت خيرا وبركة ، أو بعبارة أخرى كانت سبب خير كثير نال القراء الكثر الذين يعجبون بحق بالسيد الأستاذ ، ويقدرون ما يطالعون له من بحوث لها قيمتها وقدرها .

وبعد ما تقدم كله نعود لاستئناف الكلام فى الموضوع الأصلى ، فنقول :

ذكرنا فى المقال الماضى ثلاثة أمور ، رأينا أنها تبين بجلاء موقف رجال الدين عامة من علم الكلام ، فماذا يأخذ الباحث من هـذه النصوص عن المؤرخين الثقات ، ومن النصوص الأخرى التى نقلناها أو أشرنا اليها؟ للباحث أن يقرر وهو آمن من اتهامه بالمبالغة أن النظر الحر، حتى فى علم الكلام ، صار فى القرن الثالث مقيتا بغيضا محرما من جهة الدين ، حتى لا يجوز للناسخ أن يشتغل ولو لحساب الغير بنسخ شيء من كتبه ، وأن هـذا المقت لعلم الكلام - وخاصة على غرار نظر المعتزلة - أخذ صورة إيجابية أقلقت بال الدولة ، ووجدت فيها ما تخشاه من اضطراب حبل الأمن العام ، فيصدر الخليفة أمرا يقضى بتحريم النظر فى هـذا العلم والمناظرة فيه ، وإلا فالويل لمن يعصى الأمر المرسوم ، وأنه أخيرا - كما يقول المقريزى - صار مذهب الأشعرى هو مذهب جماهير أهل الأمصار حتى العصر الذى عاش فيه ، وأن من خالفه كان مطلول الدم . ومعنى هذا كله خصومة عنيفة صارت عداء واضحاً يستباح فيه دم المخالف من رجال الدين ، أقضّت على المتكلمين الأحرار مضاجعهم ، وأوردت الكثير منهم موارد المنون دفاعا من رجال الدين عنه حينا ، وتعصبا له عن جهل حينا آخر . ونقول : دفاعا آنا وتعصبا آنا عامدين لا مسرفين فى القول ولا متجنين ؛ ذلك أنه لنا أن نلتمس لرجال الدين والمحدثين وعلى رأسهم الحنابلة بعض العذر فى خصومتهم الحادة للمعتزلة وانتقامهم منهم لما فعلوا بهم أيام فتنة القول بخلق القرآن التى أحدثها المأمون ، وقفاه فيها المعتصم والواثق ، حتى ولى المتوكل عام ٢٣٢ هـ فأبطل هـذه المحنة ورفع عن الناس الإصر ؛ وحسبنا مما نال المحدثين فيها من أذى أنْ ضرب الامام الجليل أحمد بن حنبل بالسياط ضربا مبرحا سال منه الدم وتعددت الجراحات . على أن المحدثين لم ينقموا على المعتزلة إثارتهم هذه المحنة وموقفهم فيها فحسب ، بل نقموا منهم أيضا فلسفتهم للدين وتأويلهم للآيات التى تعارض أصلا من أصولهم الخمسة (هى: التوحيد ، والعدل ، والوعد والوعيد ، والمنزلة بين المنزلتين ، والامر بالمعروف والنهى عن المنكر(١)) ، وردهم للأحاديث التى لا تتفق معها ، مما هال المحدثين وجعلهم يرون فيهم أعداء للدين يجب ذيادهم عنه والوقوف فى وجه اعتدائهم عليه ، وينسون ما كان لهم من بلاء مبين فى الرد على الفرق الضالة وطوائف الملاحدة ، كما يدل لذلك إجالة النظر فى مؤلفاتهم

---

(١) الانتصار والرد على ابن الروندى للخياط المعتزلى ص ١٢٦ ، ومروج الذهب للمسعودى طبع دار الرجاء بمصر ج ٢ ص ١٥٠

ومنها كتاب الانتصار للخياط الذى يقول عن النظام وأمثاله من المعتزلة : إنهم « شغلوا أنفسهم بجوابات الملحدين ووضع الكتب عليهم إذ شُغل أهل الدنيا بلذاتها وجمع حطامها (١) » .
ولكن إذا كان المحدثين ومن اليهم من رجال الدين بعض العذر فى وقوفهم موقف الخصم اللدود من المعتزلة ، فما عذرهم وقد انتصروا عليهم بمجىء المتوكل العباسى فى عدائهم للأشاعرة ـ الذين كانوا يرمون المعتزلة معهم عن قوس واحدة ـ حتى لايرى شيخ الحنابلة كما قدمنا بأساً فى لعن أبى الحسن الأشعرى ، وحتى يمنعوا الخطيب البغدادى من دخول المسجد الجامع لذهابه فى علم الكلام مذهب الأشعرى ؟ ! ثم بعد أن تنفس الأشاعرة الصعداء بعد ذهاب سلطان الحنابلة بمرور الزمن ، وصار مذهبهم هو المذهب الرسمى ، ما ذنب مخالفيهم فى عقيدتهم حتى يكونوا مطلولى الدم إن جهروا بما يرون كما روينا عن المقريزى !

ومهما يكن فهذا جانب من موقف رجال الدين من علم الكلام ورجاله وكتبه ، ومنه يتبين أنهم كانوا يعتبرونه مدة طويلة علما مقيتا بغيضا لا يتفق الخوض فيه والدين الحق . ولم يكن هذا بالمشرق فقط بل كان بالمغرب أيضا ، حتى إنه لما تولى على بن يوسف بن تاشفين الحكم بعد وفاة أبيه عام ٤٩٣ هـ قرر الفقهاء عنده تقبيح علم الكلام وأنه بدعة فى الدين ، حتى استحكم فى نفسه بغضه وأهله ، فكتب للبلاد مشدداً فى نبذ الخوض فى شىء منه ، وتوعد من وجد عنده شىء من كتبه (٢) بل إن ابن تاشفين هذا أمر باحراق كتب حجة الاسلام الغزالى نفسه لما دخلت المغرب ، وتوعد بالقتل من خاطر بنفسه فاقتنى شيئا منها ، لأنه قيل له إنها مشتملة على الفلسفة ، وفعل ذلك قبل أن يطلع عليها أو يعرف ما فيها ! (٣)

والآن نترك الحديث فيما يتصل بعلم الكلام ، وننتقل لعرض موقف رجال الدين من الفلسفة ورجالاتها ؛ فإلى اللقاء إن شاء الله تعالى ؟

محمد يوسف موسى

---

(١) كتاب الانتصار المذكور طبع دار الكتب ص ٤١ .
(٢) المعجب للمراكشى نشر دوزى ص ١٢٣ .
(٣) نفسه ص ٩٦ وطبقات الشافعية الكبرى لابن السبكى ج ٤ ص ١١٤ .

الحكمة القرآنية والفلسفة اليونانية

نشرنا المقال السابق لفضيلة الأستاذ الألمعى الشيخ محمد يوسف ، وإنا لنثنى على حسن تقديره للنقد ، وعظيم تمكنه من آداب البحث ، راجين له توفيقا عظيما فى حياته العلمية والفلسفية .

لاحظ علىّ فضيلته ملاحظات أرى من مصلحة الفلسفة أن أتحدث اليه عنها ، فان شأن الفلسفة خطير لا يجوز لمن يتولون الرقابة على ثقافة الأمة أن يغفلوه ، وقد علموا أن الذى يوجه الأمم فى هذا العصر الى الغايات هى فلسفاتها ، أى الأصول والمبادئ التى تسيطر على عقليتها ، وتتسلط على نفسيتها ، وإن لم يتبين اسمها لدى آحادها ، ولكن يعرفها من يتأمل فى دوافعها الأدبية من أبنائها وغير أبنائها . لذلك لا آلو كل ما يكتب فيها هنا تعقيبا ، إذا رأيت ما يوجب ذلك ، تفاديا من أن قارئاً أو عددا من القراء لا يوفقون لقراءة ردود قد لا تأتى إلا بعد شهور عديدة .

لاحظ علىّ فضيلة الأستاذ أمورا :

١ — أنى تسرعت بالرد على مقدمات لم تصل الى موضع بيان الرأى فى موضوعها .

٢ — أنى قلت ليس من المعقول أن يعادى الأئمة الفلسفة اليونانية ، ويحضون ذويهم على الأخذ بما نضج من ثمرات العلم ، والواقع أن غير المعقول هذا هو الذى كان .

٣ — أنى قلت بأن القرآن آتى المسلمين بحكمة تبز أرقى الفلسفات ، والواقع أن الحكمة المذكورة فى القرآن تعنى السنة النبوية أو الأحكام والشرائع ، كما ذكر ذلك أبو السعود ، أو القضاء بالوحى ، كما قال القرطبى .

ملاحظاتنا على الملاحظة الأولى :

إن الذى رددنا عليه من مقالة فضيلة الأستاذ ليس قولا له ورد فى صيغة تشكيك ، وجعل تحت البحث ، ولكننا رددنا على حكم له مقرر ، أتى به نتيجة لبحث مدعم ، فليس لنا بعد أن كتب فضيلته : « إن جانبا كبيرا منا لا يزال يخلط فى هذه الخصومة (أى بين الدين والفلسفة) التى أذكى نارها رجال الدين ضد الفلاسفة والمفكرين » .

وبعد أن كتب : « هذه الخصومة بل هذا العداء ، لم يكن بين رجال الدين والفلسفة وحدها ، بل كان بين الأولين ورجال علم الكلام أيضا ، كما كان كذلك بين أهل السنة والمعتزلة » .

بعد أن كتب فضيلة الأستاذ هذا وأمثاله ، لم أر أن من التسرع الدفاع عن أهل السنة ، وبيان عذرهم فى معاداة الفلسفة والاعتزال والكلام ، لاجهلا منهم ولا تعصبا ، ولكن لقيامهم

على حكمة آتاهم القرآن إياها تبز فى سمو أصولها ، وفى بعد مجال نظرها ، كل فلسفة فى الأرض ، ولا أستثنى منها الفلسفة العلمية العصرية ، كما بينت ذلك فى مقالات سابقة بالدلائل القاطعة .

وما دمت أرى هـذا الرأى ، وأملك عليه من الأدلة ما لا يمكن دحضه ، فانى أرى من الحـكمة المسارعة الى بيانه ، وخاصة لأنى أعتقد أن التشكيك فى صدق نظر أئمة الدين الأولين ، واتهامهم بعدم الانصاف والجهل ، يزعزع صرح هذا الدين فى نظر أهله ، ويعرض بناءه للخطر .

ومما يدل دلالة حسية على أنى لم أتسرع فى ملاحظاتى ، وأنى كنت من مقال الأستاذ حيال أحكام مقررة ، وآراء ثابتة ، أن فضيلته أيدها فى مقاله الثانى ، فزاد فى ملاحظاتى قوة جديدة غير منتظرة .

ملاحظاتنا على الملاحظة الثانية :

قال فضيلة الأستاذ : « ما قلت أنا إنه غير معقول هو الذى كان » ، مشيرا بذلك الى قولى :

« فكيف يعقل أن الأئمة الذين لم يمنعوا ذويهم من الأخذ بما نضج من ثمرات العلم مهما كان مصدره ، والذين قرروا وجوب تأويل كل نص يخالف ظاهره حكم العلم ، يعمدون الى معاداة الفلسفة ، مع شغفهم بأخذ كل جديد صادفوه لدى الأمم ؟ السبب فى ذلك هو ما ذكرناه فى عدد سابق ، ووعدنا ببسط القول فيه ، أن المسلمين لم يجافوا الفلسفة اليونانية سذاجة وبلاهة منهم ، ولـكن لأنه كان لديهم فلسفة آتاهم إياها القرآن تسمو على كل فلسفة فى الأرض ، وتجليها على ما هى عليه أوهاما لا يقام لها وزن » .

واستدل فضيلة الأستاذ على أن ما قلت فى هذه الفقرة إنه غير معقول هو الذى كان ، بما فعله عبد الله التيمى من إحراق مؤلفات عبد السلام بن عبد القادر المعروف بالدكن وحبسه .

واستدل الأستاذ على ذلك أيضا بما أفتى به ابن الصلاح والنواوى بتحريم دراسة المنطق ، وبما اتهم به الأستاذ الامام الشيخ محمد عبده بالإلحاد لسماحه بتدريس العلوم الحديثة بالأزهر .

ثم قال فضيلته : « فهل لا يعد هذا جهلا وحسدا وبغيا ؟ »

نقول : نعم نعم ، أى جهل وأى حسد وأى بغى ، عملت مجتمعة فى الحوادث التى رواها الأستاذ فى هذا الموطن !

ولـكنها من حوادث القـرن السادس والسابع الهجرى ، أى عصر التدهور الاعتقادى والثقافى والسياسى للمسلمين ، العصر الذى كانت فيه الأقطار الإسـلامية موزعة بين أصحاب المغامرات من التركمان والفرس والديلم وصنائعهم ، العصر الذى قال فيه الشاعر :

وتفرقـوا شيعا فـكل مدينة فيهـا أمير المؤمنـين ومنبر

العصر الذى لو كان أحرق فيه علماء بالنار ، أو ألقى بهم مـن شواهق الجبال ، بسبب

ما حيك فى حقهم من الوشايات ، لما كان ذلك بعجيب . ولو أراد عدو للمسلمين أن يحكم على الإسلام وأئمته بما يتصيده من الحوادث الشاذة المنكرة التى كانت تحدث هنا وهناك فى دور تدهورهم ، لكتب عنه وعنهم تاريخا مخزيا ، ولكنه يكون فى الوقت نفسه قد ارتكب خطأ تلزمه تبعته ما بقى لكتابه أثر فى الأذهان .

إنما يُكتب تاريخ الأديان بالاستناد الى نصوص كتبها ، وإنما يُكتب تاريخ الآخذين بها بدراسة تأثيرها فيهم أيام ازدهار أصولها ، وسلطان مبادئها ، وتوافرهم على العمل بها .

هذه هى القاعدة العلمية فى الحكم على الأديان وعلى أئمتها .

تمَّ نزول الإسلام حوالى سنة ٦٣٠ الميلاد ، فما مضى عليه قرن حتى كان ملك المسلمين أوسع ملك عُرف فى تاريخ الأمم ، حتى الأمة الرومانية ، وما تلاه قرن آخر حتى وصل المسلمون الى زعامة العالم كله فى العلم والأدب والسياسة ، وكان من آثار هذه الزعامة حدوث انتقالات أدبية وسياسية واجتماعية فى الأمم كافة ، حولتها من حال الى حال آخر .

هذه حوادث لا يمكن نكرانها اعترف بها جميع مؤرخى الأرض ، فهل تمت اتفاقا ومن طريق الخبط ، وبمعاداة الآراء الجديدة ، والتضييق على أهلها وإحراق كتبهم ؟ .

المؤرخون الأجانب ، بله المسلمين ، تكفلوا ببيان أسباب هذه الانتقالات الأدبية التى أوجدها الاسلام ، فذكروا أن المسلمين بعد وفاة نبيهم بست سنين ، شرعوا يطلبون العلم من جميع مظانه ، وكانوا كلما اتصلوا بأمة تلقفوا أفضل ما لديها منه ومن حكمة وفن ؛ ثم علم المسلمون أن تلك الجماعات على ما كان عندها من المعارف كانت فى دور تدهور ، وأن أسلافها كانوا أغزر منها علما وأرفع مدنية ، وأن كتبهم موجودة فى خزانات موصدة ، فعملوا على الحصول على تلك الكتب ؛ ولكن كيف السبيل الى فهمها ؟ عمدوا الى استخدام المترجمين من السريان والإسرائيليين والمجوس والنصارى ، وأغدقوا عليهم المال ليتمكنوا من نقل تلك الكتب الى العربية .

فكان أمراء المؤمنين ، والقادة ، والوزراء ، والحكام ، والسراة ، يتسابقون الى استخدام هؤلاء المترجمين ، ويغمرونهم بالأعطيات ، وصنوف الرعايات ، ليقوموا بإبراز مكنونات تلك الكتب .

فهل كل هذا كان يمكن حدوثه إذا كان الاسلام لا يشجع على العلم ، وكان أئمته يصدون عنه ، ويضعون فى سبيله العراقيل ؟

بدأت حركة الترجمة والنقل فى عهد الخليفة المنصور سنة (١٣٠) فشجع عليها ، وازدادت نشاطا على عهد أولاده الهادى والمهدى وهرون الرشيد ؛ ولما ولى المأمون زادها قوة وازدهارا ، حتى كان يشتغل هو نفسه بعلم الفلك ويناقش فيه أهله الراسخين .

فى هذا المدى الذى يبلغ نحو مائتين وخمسين سنة ، نبغ جميع أئمة المسلمين أصحاب المذاهب الفقهية ، وأعلام المفسرين والمحدثين ، فهل يحفظ عن واحد من هؤلاء صد عن العلوم الطبيعية النافعة ، أو تحقير للمشتغلين بها ، أو شكوى من انصراف جمهور كبير الى تلقيها وإتقانها ، والذهاب بها الى أبعد غاياتها ؟

وهل كان منهم من أفتى بحرمة تعلم المنطق ؟ كيف يكون ذلك وقد برعوا هم فيه وجعلوه من أسلحتهم فى تقرير الأصول الاعتقادية والفقهية ؟

إذا كان على عهد هذه النهضة العلمية الواسعة النطاق ، البعيدة المدى فى المائتين والخمسين سنة الأولى للاسلام ، أن الاشتغال بالعلوم الطبيعية وبالفنون يناقض المبادئ الاسلامية الحقة ، فما الذى كان يمنع الأئمة الأولين من مؤسسى فقه الدين وشريعته وأصوله وفروعه من أن يثوروا عليه ، أو ينبهوا فى كتبهم إليه ؛ وقد كانوا من الحساسية الدينية بحيث لم يدعوا الصغريات تقع عليها أعينهم إلا شهروا بها ، وحذروا منها ، فهل كانوا يرون هذا النهم الجامح من المسلمين لاقتباس العلوم والفنون الأجنبية ولا يحذرونهم منها إن كان فيها ما يكرهه الدين ؟

أما وقد سكتوا عنها ، وتركوا الناس أحرارا فى شفاء أوامهم منها ، فمعنى ذلك أنهم لم يروا بأسا فى تعلمها ، بل رأوا أنها مما لا بد منه لرفع مستوى الانسانية ، وصقل المواهب النفسية ، وزيادة المرافق العمرانية ، ولكى لا يؤتى المسلمون من قبلها بكارثة عدوانية . لذلك رأيناهم أحلوا تعلم كل شىء حتى السحر ، فقال قائلهم : تعلم السحر ولا تعمل به ، فحرموا العمل به ولم يحرموا تعلمه . (ارجع الى باب الفتوى فى هذا العدد) .

بهذه الروح الخالصة من جميع شوائب الجهل والتعصب ، أطلق أئمة المسلمين الأولين ، عملا بسماحة الاسلام ، الحرية للناس فى أخذ كل ما كان يروقهم فى ديار مقهوريهم من العلم والصناعة ، حتى تفردوا فى العالم كله بزعامة عامة ، لم تتمتع أمة قبلهم ولا بعدهم بمثلها .

فلما توالت القرون بعد ذلك العصر الذهبى للاسلام ، وأخذ الملك الإسلامى يتفتت ، واغتصبت الحكومات الاقليمية عصابات من أجناس شتى ، انحط مستوى العلم الدينى ، وضعف أهله ، وتدهورت عقليتهم ، وراجت الأحاديث الموضوعة ، والخرافات المصنوعة بينهم ، وترك القائمون بالأمر حبلهم على غاربهم ما داموا لا يتعرضون لسلطانهم المطلق الجائر بكلمة ؛ فصدرت فى هذه العهود تعاليم تناقض صريح الكتاب والسنة ، وراجت بدع كان الغرض منها جر المغانم الى القائمين بأمر الدين ، حتى صارت الفتاوى تباع وتشرى .

فاذا كان فضيلة الأستاذ الكاتب يتخذ من هؤلاء أمثلة على ما كان عليه أئمة الدين الاسلامى من قصر النظر ، وضيق الصدر ، والجهل والبغى والحسد ، فليس هذا بالأسلوب الذى يقوم عليه البحث التاريخى ، والنقد العلمى ، وليس مثله يقدم عليه .

عداء الأئمة الأولين للمعتزلة وعلماء الكلام :

الدين حاجة من أفعل حاجات النفس تأثيرا فى العقل ، وتحكما فى العواطف ، ولا يوجد شيء ضحى الانسان فى سبيله نفسه وماله وولده غير الدين . وقد سد الخالق الحكيم هذه الحاجة فيه بأديان شرعها له فى خلال القرون ، فكانت كلما تقادم على واحد منها العهد انحرف عن صراطه ، وطمست الآراء والتأويلات حقائقه ، حتى كان الزمان الأخير ، فشرع الخالق الاسلام يعدّل للناس فيه كل عوج تأدوا اليه بخروجهم عن الصراط السوى ، الذى نهجه لهم فى الأديان السابقة ، وأحاطه فى وحيه الأخير من الحوافظ بما يحميهم من كل تأويل له يدفعون فيه .

أمرهم فيه بأن يطلبوا العلم من مظانه ، وأن يتثبتوا مما يلقى اليهم منه فلا يأخذوه إلا معززا بالدليل ، وحثهم على إقامة سلطان العقل ، فلا يقبلون كل ما يقدم لهم حتى يزنوه بقسطاسه ، ويحاكموه الى أولياته ؛ ونهاهم عن الأخذ بالظنون ، والتلهى بالأوهام ، والخضوع للأهواء ، والتقليد للكبراء ، والانخداع بالظواهر ، مكثرا لهم من سير الضالين والمضلين ، معددا لهم فى ألوان باهرة من البيان سير الخادعين والمخدوعين ، ومصاير المقلدين والمقلدين ، غير معتد بعذر الجاهلين ، ولا بذلة المستضعفين ؛ ملقيا التبعة على كاهل الناكب عن السبيل ، ما دام قد جعل له عقلا يدرك ، وقلبا يعى .

وقد شدد الاسلام على أهله فى وجوب تجنب الخلاف حتى فى سبيل فهم بعض الكلام الإلهى ، فبين لهم أن فى كلامه آيات محكمات لا يتردد العقل فى إدراكها ، وأخرى متشابهات تتشعب عليها الفهوم ، وتتشعب فيها المفاهيم ، فحذر من الاشتغال بها ، ونص على أن من يحاول تأويلها يعتبر زائغا عن الصراط القويم .

كل ذلك لتتوحد وجهة الناس فيما يغذى عقولهم وقلوبهم ، وينفع أرواحهم ، ويبنى وجودهم ؛ أما قيل وقال ، وكثرة التساآل ، والتمادى فيما لا يمكن أن تتفق فيه المذاهب بحال، فقد عده من عمل المتبطلين ، وشغل المبطلين ، وعرضا من همزات الشياطين ، حتى قال النبى صلى الله عليه وسلم : « ما أراد الله بقوم سوءا إلا آتاهم الجدل » . وقد ورد فى هذا المعنى عشرات من الأحاديث الصحيحة .

ليس مقصد الاسلام من كبح العقول عن تفهم المسائل الغامضة ، أن يبقوا فى الظلام البهيم ، وأن يؤمنوا بدون نظر ولا تمحيص ، بدليل أنه طالبهم بالدليل على ما كلفهم الإيمان به من الكليات الأساسية ؛ والتدليل لا يكون إلا بعد نظر وفهم وتحقيق ؛ ولكنه نهاهم عن الجدل فيما لم يكلفهم الإيمان به من الأمور التى لا تصل الى فهمها وتمحيصها العقول .

فاذا كان دين فى الأرض تأبى طبيعته أن ينشأ فيه اعتزال وعلم للكلام فهو الاسلام . ولكن جمحات العقول ، واندفاعات الميول ، حفزت الى نشوء هاتين العقبتين من لدن القرن الثانى للهجرة ، وجرت الى خلافات ومنازعات يأباها الاسلام ويتشدد فى النهى عنها ، ونحن قبل أن نقول كلمتنا فى هذا الموضوع نعطى القارىء فذلكة من تاريخ هذا العلم كتبها بقلمه فى كتابه (رسالة التوحيد) العلامة الحجة زعيم النهضة الدينية فى هذا العصر الشيخ محمد عبده . قال رحمه الله :

« كانت أول مسألة ظهر الخلاف فيها مسألة الاختيار واستقلال الانسان بإرادته وأفعاله الاختيارية ، ومسألة من ارتكب الكبيرة ولم يتب ، اختلف فيها واصل بن عطاء (١) وأستاذه الحسن البصرى واعتزله يعلم أصولا لم يكن أخذها عنه .

« تفرقت السبل بأتباع واصل ، وتناولوا من كتب اليونان ما لاق بعقولهم ، وظنوا من التقوى أن تؤيد العقائد بما أثبته العلم بدون تفرقة بين ما كان منه راجعا الى أوليات العقل ، وما كان سرابا فى نظر الوهم ؛ فخلطوا بمعارف الدين ما لا ينطبق على أصل من أصول النظر ، ولجوا فى ذلك حتى صارت شيعهم تعد (بالعشرات) ، أيدتهم الدولة العباسية وهى فى ريعان القوة ، فغلب رأيهم ، وابتدأ علماؤهم يؤلفون الكتب ، فأخذ المتمسكون بمذهب السلف يناضلونهم معتصمين بقوة اليقين ، وإن لم يكن لهم عضد من الحاكمين » .

الى أن قال أجزل الله ثوابه :

« جاء الشيخ أبو الحسن الأشعرى فى أوائل القرن الرابع ، وسلك مسلكه المعروف وسطا بين موقف السلف ، وتطرُّف من خالفهم ، وأخذ يقرر العقائد على أصول النظر ، وارتاب فى أمره الأولون (يريد الواقفين مع مذهب السلف) ، وطعن كثير منهم فى عقيدته ، وكفره الحنابلة واستباحوا دمه ، ونصره جماعة من أكابر العلماء ، كأبى بكر الباقلانى وإمام الحرمين والأسفراينى وغيرهم ، وسموا رأيه بمذهب أهل السنة والجماعة .

« غير أن الناصرين لمذهب الأشعرى بعد تقريرهم ما بنى رأيه عليه من نواميس الكون ، أوجبوا على المعتقد أن يوقن بتلك المقدمات ونتائجها ، كما يجب عليه اليقين بما تؤدى اليه من عقائد الإيمان ؛ ذهابا منهم الى أن عدم الدليل يؤدى الى عدم المدلول . ومضى الأمر على ذلك الى أن جاء الإمام الغزالى والامام الرازى ومن أخذ مأخذهما فخالفوهم فى ذلك ، وقرروا أن

(١) هو واصل بن عطاء تلميذ الحسن البصرى . خالفه فى مسائل واعتزله فسمى أتباعه المعتزلة لهذا السبب توفى سنة ١٨١ للهجرة .

دليلا واحدا أو أدلة كثيرة قد يظهر بطلانها ، ولكن قد يستدل على المطلوب بما هو أقوى منها فلا وجه للحجر فى الاستدلال (١) .

« أما مذاهب الفلاسفة فكانت تستمد آراءها من الفكر المحض ، ولم يكن من همٍّ أهل النظر من الفلاسفة إلا تحصيل العلم ، والوفاء بما تندفع إليه رغبة العقل ، من كشف مجهول أو استكناه معقول ، وكان يمكنهم أن يبلغوا من مطالبهم ماشاءوا ، وكان الجمهور من أهل الدين يكنفهم بحمايته . . .

« لكن يظهر أن أمرين غلبا على غالبهم ، (الأول) الإعجاب بما نُقل إليهم عن فلاسفة اليونان ، خصوصا أرسطو وأفلاطون ، ووجدان اللذة فى تقليدهما لبادئ الأمر . و (الثانى) الشهوة الغالبة على الناس فى ذلك الوقت ، وهو أشأم الأمرين : زجوا بأنفسهم فى المنازعات التى كانت قائمة بين أهل النظر فى الدين ، واصطدموا بعلومهم فى قلة عددهم ، مع ما انطبعت عليه نفوس الكافة ، فمال حماة العقائد عليهم . وجاء الغزالى ومن على طريقته فأخذوا جميع ما وجدوا فى كتب الفلاسفة مما يتعلق بالالهيات ، وما يتصل بها من الأمور العامة وأحكام الجواهر والأعراض ، ومذاهبهم فى المادة ، وتركيب الأجسام ، وجميع ما ظنه المشتغلون بالكلام يمس شيئا من مبانى الدين ، واشتدوا فى نقده (٢) . . .

« ثم جاءت فتن طلاب الملك من الأجيال المختلفة ، وتغلب الجهال على الأمر ، وفتكوا بما بقى من أثر العلم النظرى النابع من عيون الدين الإسلامى ، فانحرفت الطريق بسالكيها ، ولم يعد بين الناظرين فى كتب السابقين إلا تحاور فى الألفاظ أو تناظر فى الأساليب ، على أن ذلك فى قليل من الكتب اختارها الضعف ، وفضلها القصور .

« ثم انتشرت الفوضى العقلية بين المسلمين تحت حماية الجهلة من ساستهم ، فجاء قوم ظنوا فى أنفسهم ما لم يعترف به العلم لهم ، فوضعوا ما لم يعد للاسلام قبل باحتماله . غير أنهم وجدوا من نقص المعارف أنصارا ، ومن البعد عن ينابيع الدين أعوانا ، فشردوا بالعقول عن مواطنها ، وتحكموا فى التضليل والتكفير ، وغلوا فى ذلك حتى قلدوا بعض من سبق من الأمم دعوى العداوة بين العلم والدين الخ » .

هذا كلام الإمام الحجة الشيخ محمد عبده ، ومنه يتضح للقارئ كيف نشأ علم الكلام فى الإسلام وعلى أى أساس قام ، وكيف تطور فى اتجاهات مخالفة لمذهب القرآن حتى آل الى شر مآل .

---

(١) وقد تحقق رأى حجة الاسلام الغزالى والامام الرازى فظهر بطلان كثير من تلك المستندات ، وظهر اليوم غيرها أقوى منها بما لا يقاس عليه .

(٢) وقد ظهر اليوم لمن لهم إلمام بالفلسفة اليونانية أنها كانت تقوم من بناء الوجود على الاوهام ، وعلى ما يولده التصور من الخيالات .

يشكو فضيلة الأستاذ كاتب المقال اليوم مما لقيه علماء الكلام من أئمة المسلمين من العداء والاضطهاد ، وما وجده المعتزلة منهم من الكراهية والعناد ، فماذا كان يريد أن يكون عليه أولئك الأئمة حيال قوم ذهبوا فى الخلاف كل مذهب ، حتى أصبحت فرقهم كما يقول الامام الشيخ محمد عبده تعد بالعشرات ؟ هل كان عليهم أن يغضوا الطرف عن هذه الفتنة الشاعبة لوحدة الاسلام ، والوحدة أساسه الأول الذى يقوم عليه ، ووصفه المميز له عن سائر الملل ، والله يقول : « إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم فى شىء » ؟ .

ولو كلف أحدنا نفسه ونظر فى موضوع خلافاتهم لعجب من قوم لهم عقول تدرك يختلفون على أشياء لو مد فى آجالهم حتى عمروا الى قيام الساعة ، لما وصلوا من العلم بها الى شىء ، ولو رجعوا الى الكتاب لوجدوه يعدها من المتشابهات وينهاهم عن الاشتغال بها باسم القرآن .

أنا لا أنكر أن للعقول شهوات جامحة ، وميولا عارمة ، تدفع الفكر فى تيارها ، وخاصة فى عهد طفولة الأمم ، الى ما لا يصح التفكر فيه ؛ نعتذر عن المعتزلة بهذا ، ولكن كان يسعهم أن يفكروا فى مسائلهم العويصة لحسابهم الخاص تحت أى اسم شاءوا . إذا كانوا فعلوا ذلك ما كان تعرض لهم أحد ؛ ولكنهم اشتغلوا بها لحساب الدين ، وانتدبوا لنشرها بين المسلمين ، وجلسوا فى المساجد للمجادلة فيها والدين ينهاهم عنها وعن أمثالها ، ولم يحملهم تبعة جهلها ؛ فلم يكفهم أن يخالفوا الكتاب بالبحث فيها ، ولكنهم اختلفوا فيها اختلافا شنيعا ، حتى كانت تعد مذاهبهم بالعشرات ، كما يقول الامام الشيخ محمد عبده ، وكفر بعضهم بعضا عليها ، فضربوا للناس بجالهم أسوأ الأمثال . فلو كان خف حلم المسلمين وجنحوا إليهم فيها ، لكان شاع بين جماعتهم خلاف لا يقف عند حد ، ولا نشقت عصاهم ، وتصدعت جماعتهم ، وبادوا كما بادت قبلهم أمم اشتغلت بأمثال هذه المسائل ؛ ولكانت النتيجة أن الدين الذى شرع لتوحيد الأديان والمذاهب ، يقع هو نفسه فى شر مما جاء لمداواته من أدواء العقل البشرى !

ومما يدلك بدليل محسوس على أنهم كانوا يشتغلون بمسائل لا تهتم بها العقلية الانسانية اهتماما جديا ، أن أحدا ممن يعتد بعقله لا يشتغل بها اليوم لا هنا ولا فى أية بقعة من بقاع الأرض . فأى عاقل يستسيغ أن يسأل هل القرآن قديم أم محدث ، وهل صفات الله متصلة به أم خارجة عنه ، وهل مرتكب الكبيرة يعتبر مؤمنا أم كافرا ، وهل أطفال الكفرة يخلدون فى النار الخ الخ ، مما توجبه على أهلها الثقافة الناقصة ، والعقلية الطفلة القاصرة ؟

فهل يلام أئمة إسلاميون على أنهم حاولوا أن يقاوموا تأثير هؤلاء المتحذلقين ، وأن لا يدعوهم يصدعوا بأمثال هذه الوساوس وحدة المسلمين ؟

نحن الآن فى زمان ثارت فى نفوسنا رغبة ملحة فى ترسم خطوات الأئمة المهديين فى أى عصر كانوا ، وبأى مظهر ظهروا ، أحرارا غير مقيدين ؛ فهل فينا واحد ، حتى من الذين

يدافعون عن المعتزلة والمتكلمين ، يقبل أن ينصحنا بأن نشتغل بمثل ما كانوا به يشتغلون ؟ وهل فينا من يمكنه بعد إطالة البحث والتنقيب ، أن يدلنا على مسألة كانوا يفنون أيامهم فى المجادلة والملاحاة فيها ، يصح أن نحتذى مثالهم فى الاشتغال بها على أسلوبنا ، ونجعلها شغلا شاغلا لنا كما كانوا يفعلون ؟

يجوز أن يكون وقع من بعض الذين وقفوا فى وجه هذه الطوائف من أهل السنة فى القرون المتأخرة غلو فى العدوان ، أو صدر منهم ما يعتبر مثل سوء فى الرجعية وسوء النية ، فهذه الجزئيات تحدث فى كل أمة ، وفى مممعان كل ملاحاة ، وهى لا تهم الفيلسوف المعاصر ، ولكن الذى يهمه هو أن يعرف هل كان فى مذاهب تلك الطوائف ، وقد تركت لها حرية القول والتأليف أجيالا ، ما هو نافع جدير بأن يتولاه ناموس الانتخاب الطبيعى ، فأيده واستبقاه على الرغم من كل ما سُلط عليه من عوامل الإدحاض ، كما هو شأن كل حق من يوم أن خلق الله الخلق الى اليوم ؟

الذى هو ظاهر للعيان أنه لم يكن فيها ما يستحق البقاء ، خصوصا وكل ما قالوه موجود تحت أنظار الناس اليوم ، لا يرفع به أحد رأسا ، ولا يقيم له وزنا .

الحكمة الاسلامية فلسفة تبز أرفع فلسفة فى الأرض :

قلنا إن أئمة المسلمين لم ينابزوا الفلسفة اليونانية سذاجة وبلاهة ؛ ولكنهم كانوا فى منابزتهم إياها يصدرون عن حكمة آتاهم إياها القرآن ، لا تعد الفلسفة اليونانية إزاءها إلا كما يعد المصباح إزاء الشمس فى رابعة النهار ، فلم يقتنع فضيلة الأستاذ الكاتب بهذا القول ، وقال إنه بالرجوع الى التفاسير يتضح أن كلمة الحكمة فى الآيات التى أوردناها لا تدل على الفلسفة حتى ما كان منها قائما على النظر الصحيح ، ولكن يراد بها (السنة النبوية) أو (الأحكام والشرائع) أو (القضاء بالوحى) .

أقول : إن حصر مدلولات الألفاظ القرآنية فيما فهمه منها أفراد من المتقدمين ، لم يقل به أحد من أئمة المسلمين ، فإذا قال أبو السعود إنها الأحكام والشرائع ، وقال القرطبى إنها القضاء بالوحى ، وقال غيرهما إنها السنة النبوية ، فأنا أقول ، والدليل يؤيدنى ، إن المراد بها الأصول والمبادئ التى أُطلق على أمثالها كلمة الفلسفة فى كل أمة ، والفرق بينهما أن تلك أصول ومبادئ نزل بها الوحى ، وهذه أصول ومبادئ جاء بها العقل . فاذا قرأتُ قول الداروينيين بأن فى الطبيعة عملا انتخابيا يستبقى الأصلح للبقاء وينفى ما دونه مما لا يصلح له ، عددتُ هذا أصلا فلسفيا ، فاذا قرأتُ قوله تعالى : « فأما الزبد فيذهب جفاء ، وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض » فالى أى باب من أبواب الأغراض القرآنية أنسبه ، أإلى باب العبادات ، أم

المعاملات أم الأحكام ، أم الشرائع ، أم القضاء بالوحى ، أم الى السنة النبوية ؟ لا أستطيع أن أنسبه إلا الى الحكمة القرآنية ، التى جعلت لتوجيه الأمة الاسلامية علميا وعمليا الى الوجهة الموصلة للكمال الذى خلق الانسان ليصل اليه ، وهذا غرض كل فلسفة فى الأرض .

وإذا قرأتُ فى علم الاجتماع قولهم : إن للأمم نواميس مقررة تحيا على موجبها وتتطور ، ثم تضمحل وتتلاشى ، عددتُ هذا أصلا من أصول الفلسفة الاجتماعية ، وإذا قرأتُ قوله تعالى : « سنة الله فى الذين خلوا من قبل ، ولن تجد لسنة الله تبديلا » فالى أى باب من أبواب الأغراض القرآنية أعزوه ؟ أنا مضطر أن أعزوه الى الحكمة القرآنية .

وإذا قرأت فى الفلسفة أصولا كثيرة ، وقرأت فى القرآن قوله تعالى : « إنا كل شىء خلقناه بقدَر » ، وقوله : « والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ، وإن الله لمع المحسنين » ، وقوله : « من عمل صالحا فلنفسه ، ومن أساء فعليها » ، وقوله : « إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » ، وقوله : « وهو يتولى الصالحين » ، وقوله : « فماذا بعد الحق إلا الضلال » ، وقوله : « إن الباطل كان زهوقا » ، وقوله : « بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه ، فاذا هو زاهق » ، وقوله : « فبشر عبادى الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه » ، وقوله : « وما أوتيتم من العلم إلا قليلا » ، وقوله : « وقل رب زدنى علما » ، وقوله : « ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون » ، وقوله : « قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا ، أو لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون » ، وقوله : « تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ، ولا تسألون عما كانوا يعملون » ، وقوله : « ولا تَقْفُ ما ليس لك به علم » ، وقوله : « وما يتبع أكثرهم إلا ظنا ، إن الظن لا يغنى من الحق شيئا » ، وقوله : « قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين » ، وقوله : « نبئونى بعلم إن كنتم صادقين » ، وقوله : « إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس » ، وقوله : « ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله » ، وقوله : « هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون » الخ الخ .

هذه آيات قرآنية من عشرات أمثالها مبثوثة فى الكتاب الكريم ، أنزلها موحى القرآن لاقامة العقلية الانسانية على السَنن الطبيعى ، خالصةً من حجب الأهواء والأوهام والظنون ؛ نقيةً من آثار العقائد الموروثة والتقاليد العتيقة ، حاصلةً على جميع ما تقتضيه الحيطة الأدبية من سماع كل ما يقال ، واتباع أحسنه ، ولكن بعد التثبت منه ، وتحرى الدليل عليه ؛ متجردةً لطلب العلم الصحيح باعتبار أنه أساس كل رقى صورى ومعنوى ، ومِساك كل وجود شخصى واجتماعى ؛ أليس هذا غرض كل فلسفة فى العالم ؟ أهى شىء غير جمهرة من أصول ومبادئ تؤدى الآخذ بها لأحسن موقف عقلى وأدبى يمكن أن يقفه الانسان فى الحياة وحيال الوجود ، متعرضا على موجبه لنفحات العلم ، وتطورات الرقى ؟

إن هذه الحكمة القرآنية أخذت بها أمة بدوية لا عهد لها بكتاب ولا حكمة ، فنالت زعامة العالم فى العلم والسلطان والسياسة والصناعة فى نحو قرنين من الزمان ، فان كان يُضَن عليها بلقب فلسفة ، فربما كان للضانين بذلك الحق باعتبار أنها أرقى من الفلسفة بما لا يقدر !

الفلسفة اليونانية وغيرها لم تخلق أمما ، ولكن الأمم هى التى خلقتها ، وهذه الحكمة القرآنية أوجدت من العدم أمة كان لها أثر فى الأرض لا يشتبه بغيره ، ولا تزال الحكمة التى أوجدتها حية ، وسينتهى الأمر بسيادتها على كل فلسفة فى الأرض ؛ ألم نثبت للقارئين فى مقالة لنا نُشرت بالعدد الرابع أن الفلسفة العلمية فى أوروبا آبت اليها بعد تطورات دخلت فيها فى قرون طويلة ؟

مما يدلك بدليل محسوس على أن المراد من كلمة الحكمة فى القرآن هى الأصول والمبادىء التى ذكرناها قوله صلى الله عليه وسلم : « الحكمة ضالة المؤمن يأخذها ولو من مشرك » ، فهل يعقل أن النبى يدعو المؤمن ليأخذ عن المشرك علم الشرائع والأحكام ، أو القضاء بالوحى أو علم السنة النبوية ؟!

القرآن :

الأمة الإسلامية أمة ذات صبغة عالمية ، قامت ، خلافا لسائر الجماعات البشرية ، على أصول أدبية ، ومبادىء خلقية ، لا على الحاجات الحيوية ، ولا الضرورات المادية ، فهى أمة مثالية لم تُقم للفروق الجنسية واللغوية وزنا . وقد نالت من بسطة السلطان ، وعزة الملك ، وقوة المناعة ، وسمو الثقافة ، ما لم تنله أمة قبلها ؛ غالبت عقبات النشوء فاجتازتها ، وصارعت تقلبات الأحداث وتفادتها .

فهذا البناء الاجتماعى الفخم ، لا يعقل أن يكون قد قام على الوهم ، ولا بد له من أصول مكينة ، ووطائد متينة قام عليها ، ولا بد كذلك من أن يكون فى بنيته من الحوافظ ما يحميه من أعاصير الانقلابات ، ومن العوامل ما يدفعه لضروب التطورات .

فإذا كان قوام هذا كله القرآن ، كما هو معلوم بالضرورة ، وجب أن نلتمس سر هذا البناء الفخم على ما اقتضاه من أصول اجتماعية ، وقوى أدبية ، وعوامل عمرانية ، فى هذا القرآن .

فهل يستكثر على كتاب هذا أثره الخالد ، أن تكون فيه حكمة تقيم أهله على أقوم السبل الحيوية ، وتوجه عقولها ونفوسها الى أسمى الوجهات الأدبية ، بحيث تفوق فى ذلك أشهر فلسفة فى الأرض ؟

وقد ثبت أن أهل هذا الكتاب أبوا أن يقعوا تحت سلطان الفلسفة اليونانية وطغوا عليها ، وصدوا عنها ، فهل منعهم ذلك أن تكون لهم الزعامة العلمية والسياسية فى الأرض ؟

محمد فريد وجدى

حياة رجالات الإسلام

أبو بكر الصديق

— ٨ —

موقفه فى صلح الحديبية

لا نكاد نخطو فى حياة الصديق رضى الله عنه حتى نجد فى كل خطوة سراجا من سرج العظمة الإيمانية ، يكشف لنا عناصر العبقرية التى تفرد بها أبو بكر رضى الله عنه ، ويطلعنا على منازع التفكير عنده ، وأنه ينزع بغرب من منابع الحياة النبوية ، وأن الله تعالى اختصه بما لم يعطه أحدا من أتباع النبيين ، فكان لذلك خيرهم إيمانا ، وأرجحهم سياسة ، وأحسنهم تفكيرا ، وأبعدهم نظرا ، وأهداهم طريقا ، وأرشدهم نصحا لله ولرسوله والناس أجمعين .

أسلفنا فى مقالنا السابق الحديثَ عن موقف الصديق رضى الله عنه فى أسارى بدر ، وما جعل الله تعالى فى رأيه من خير وبركة على الاسلام والمسلمين ، وما تكشّف عنه الغيب من تقدير صالح فى عواقب ذلك الرأى الرحيم ؛ والآن نحدثك عن موقف من مواقف الصديق رضى الله عنه فى مرحلة من أدق مراحل النضال الاسلامى ، تزلزلت فيه أقدام الراسخين ، واضطربت له قلوب المؤمنين وأفكار المسلمين ، فكان موقف الصديق عنوان رسوخ الإيمان ، والنظر من وراء سجف الغيب بنور الله ، وكان آية صادقة على ما أمد الله تعالى به صديق نبيه ووزيره وخليفته من تسديد الرأى وتوفيق التفكير ؛ وحسبنا أنه موقف يقول فيه الفاروق ، وهو من هو : « لقد دخلنى أمر عظيم ، وراجعت النبى صلى الله عليه وسلم مراجعة ما راجعته مثلها قط » .

روى البخارى فى الصحيح وأصحاب المغازى « أن بديل بن ورقاء الخزاعى جاء الى رسول الله فى نفر من قومه ، فقال : إنى تركت كعب بن لؤى وعامر بن لؤى نزلوا أعداد مياه الحديبية ومعهم العوذ المطافيل ، وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنا لم نجىء لقتال أحد ، ولكنا جئنا معتمرين ، وإن قريشا قد نهكتهم الحرب وأضرت بهم ، فان شاءوا ماددتهم مدة ويخلوا بينى وبين الناس ، فان أظهر فان شاءوا أن يدخلوا فيما دخل فيه الناس فعلوا ، وإلا فقد جمّوا ، وإن هم أبوا فوالذى نفسى بيده لأقاتلنهم على أمرى هذا حتى تنفرد سالفتى ولينفذن الله أمره ! » وفى رواية « فأرسل النبى صلى الله عليه وسلم عينا له ،

فأتاه عينه ، فقال : إن قريشا جمعوا لك جموعا ، وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت ومانعوك » ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « أشيروا علىّ أيها الناس ، أترون أن أميل الى عيالهم وذرارى هؤلاء الذين يريدون أن يصدونا عن البيت ؟ » فقال أبو بكر رضى الله عنه : « يا رسول الله ، خرجت عامدا لهذا البيت لا تريد قتل أحد ولا حرب أحد ، فتوجه فمن صدنا قاتلناه » ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « امضوا على اسم الله » .

فى هذا الحديث أن النبى صلى الله عليه وسلم أخبر أنه جاء سلما ، وأنه لا يريد قتال أحد ، وأنه اعتذر لقريش لو قبلت ، ولكنه يعطيها فرصة الاستجمام حتى تستعد لو شاءت قتالا ؛ ومن وراء ذلك عزيمة صارمة إذا ركبت قريش رأسها ؛ ولكن المسلمين ولا سيما الأنصار كانوا يرونها حربا شعواء ، حتى كان حامل لوائهم سعد بن عبادة يرتجز فى فتح مكة قائلا : اليوم يوم الملحمة ! فلما توالت الرسل وجاء عين النبى صلى الله عليه وسلم يخبره أن قريشا مصممة على حربه ومنعه استشار أصحابه ، فكان رأى الصديق رضى الله عنه أن يسير النبى صلى الله عليه وسلم فى أصحابه على ما خرج عليه قاصدا البيت لا يتعرض لأحد حتى يصدوه ، فمن صده قاتلوه ، فهشّ النبى صلى الله عليه وسلم لرأى صديقه وقال : « امضوا على اسم الله » . وهذا من حسن سياسة الصديق وفضل رأيه ، تمشيا مع طبيعته الرحيمة ، لأنه لم يكن فى حياته يرمى الى غلبة الحروب وظفر المعارك فحسب ، ولكنه كان يرمى الى غلبة العقيدة وسمو الفكرة ، فإذا تحقق هذا بغير أن تسفك فى سبيله قطرة دم كان أحب الى نفسه وأرضى ؛ وقد أيده الله تعالى فى رأيه ، فكان فى رسل قريش الى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من كنانة ، وهم قوم يعظمون البدن ، ولا يصدون من أمّ البيت الحرام ، فاستقبله المسلمون يلبون ، والهدى يساق بين أيديهم ، فقال : سبحان الله ! ما ينبغى لهؤلاء أن يصدوا عن البيت . فكان هذا أول النصر للمسلمين ، وأول الفشل والفرقة لأحابيش المشركين ؛ وتتابعت الرسل فيما بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وقريش ، وكان فيهم سيد ثقيف عروة بن مسعود ، فرأى من أمر النبى صلى الله عليه وسلم وإعظام أصحابه له ما بعث فى نفسه الرعب على قومه وحلفائه ، فوصف ما رأى لقريش ، ودعاها الى مصالحته ، ولكنه أراد ألا يطمع المسلمين وأن يتهددهم لعله يخيفهم ، فقال للنبى صلى الله عليه وسلم فى مفاوضته : « أى محمد : أرأيت إن استأصلت أمر قومك ، هل سمعت بأحد من العرب اجتاح أهله قبلك ؟ وإن تكن الأخرى فإنى والله لأرى وجوها ، وإنى لأرى أشوابا من الناس خليقا أن يفروا ويدعوك » . فلم يملك أبو بكر الصديق رضى الله عنه نفسه إذ سمع عروة يطعن فى إخلاص المؤمنين لعقيدتهم وهى أعز ما لديهم ، فانتهض يرد عليه ردا يغمز عقله ورجولته ويسخر منه ليفل من غرب غروره ، منكرا عليه أشد الإنكار زعمه أن المؤمنين يفرون عن نبيهم ؛ وقد رأى عروة بعد ذلك من تعظيم

الصحابة للنبي صلى الله عليه وسلم ما كان مؤيدا لرد أبي بكر عليه ، ولكن عروة لم تشأ له عنجهيته أن يترك رد أبي بكر حتى يعلم صاحبه ، فقال : من ذا ؟ قالوا : أبو بكر ، قال : أما والذي نفسي بيده لولا يد كانت لك عندي لم أجزك بها لأجبتك !

لم تجد قريش وأحابيشها من المؤمنين إلا عزما وتصميما ، فمالت الى المصالحة ، وأرسلت سهيل بن عمرو ليكتب بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبينها عهد الصلح ، وأخذت قريش لنفسها ما أرادت من الشروط ، وكان من أشدها على المسلمين « ألا يأتي رجل من قريش الى المسلمين إلا ردوه اليهم وإن كان مسلما » ، فعظم الأمر على المسلمين جدا ، حتى قال بعضهم : « سبحان الله كيف يرد الى المشركين وقد جاء مسلما ! » وبينما هم كذلك إذ دخل أبو جندل ابن سهيل بن عمرو يرسف في قيوده ، فقال سهيل : هذا أول ما أقاضيك عليه أن ترده الي ، فعظم الأمر على أبي جندل ، وكان قد عذب عذابا شديدا في الله ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا أبا جندل اصبر واحتسب ، فانا لا نغدر ، وإن الله جاعل لك فرجا ومخرجا » ؛ ووثب عمر بن الخطاب رضي الله عنه مع أبي جندل يمشي الى جنبه ويدني قائم سيفه منه ويقول : اصبر ، قال عمر رضي الله عنه : رجوت أن يأخذ السيف مني فيضرب به أباه ، فضن الرجل ونفذت القضية .

هنا تتجلى مراتب الايمان ، وتظهر درجات النفوس المؤمنة ، وفقا لفيض الله تعالى عليها ، فان الأمر شديد ، والتسليم به عن طواعية ورضاء أشد ، كيف والمسلمون في عنفوان قوتهم وقد بدأ الانحلال في عدوهم ، وهم يرضون شروطاً يفرضها عليهم ؟ ! ولكن شأن النبوة فوق قوانين الحياة ؛ رضي النبي صلى الله عليه وسلم شروط المعاهدة لأنه يعلم ما انطوت عليه من تدبير الله تعالى ، ورضي لرضائه صديقه رضي الله عنه لأنه يعلم ما انطوى عليه رضاء رسول الله صلى الله عليه وسلم من حكم وآيات ، ووقف جميع الناس عند طوق البشرية تغلي مراجلهم ، فمن يتكلم لهم ؟ لو كان أبو بكر في صفهم لكان محاميهم لأنه أقرب الناس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ ولكن أبا بكر غمره فيض النبوة فسما به الى ساحة الشهود ، فرضي كل الرضا بما رضي به رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ أليس في القوم فاروق الاسلام وهو أشدهم في دين الله ؟ قال عمر رضي الله عنه : « فأتيت نبي الله صلى الله عليه وسلم فقلت : ألست نبي الله حقا ؟ قال : بلى ، قلت : ألسنا على الحق وعدونا على الباطل ؟ قال : بلى ، قلت : فلم نعطي الدنية في ديننا إذاً ؟ قال : إني رسول الله ولست أعصيه ، وهو ناصري ؛ قلت : أوليس كنت تحدثنا أنا سنأتي البيت فنطوف به ؟ قال : بلى ، فأخبرتك أنك تأتيه العام ؟ قلت : لا ، قال : فإنك آتيه ومطوّف به » . قال عمر رضي الله عنه : « فأتيت أبا بكر ، فقلت : يا أبا بكر أليس هذا نبي الله حقاً ؟ قال : بلى ، قلت : ألسنا على الحق ؟ قال بلى ، وعدونا على

الباطل ؟ قلت : فلم نعطى الدنية فى ديننا إذاً ؟ قال : أيها الرجل ! إنه لرسول الله صلى الله عليه وسلم وليس يعصى ربه ، وهو ناصره ، فاستمسك بغرزه ، فوالله إنه على الحق ! قلت : أليس كان يحدثنا أنا سنأتى البيت ونطوف به ؟ قال : بلى ، أفأخبرك أنك آتيه العام ؟ قلت : لا ، قال : فانك آتيه ومطوّف به » . قال عمر رضى الله عنه فى رواية ابن اسحاق : « ما زلت أتصدق وأصوم وأصلى وأعتق من الذى صنعت يومئذ مخافة كلامى الذى تكلمت به » .

قال القسطلانى فى المواهب : « وأما جواب أبى بكر لعمر رضى الله عنهما بمثل جواب النبى صلى الله عليه وسلم فهو من الدلائل الظاهرة على عظيم فضله ، وبارع علمه ، وزيادة عرفانه ورسوخه ، وزيادته فى ذلك على غيره » . وذكر ابن القيم فى روضة المحبين أن الرواية وقعت فى بعض المغازى بعكس ما فى البخارى ، وأن مساءلة عمر لأبى بكر كانت أولا ، ومساءلة رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت ثانيا . قال الامام السهيلى : « وهذا هو الأولى ، ويشبه أن يكون المحفوظ ، فانه لا يظن بعمر رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول له قولا فلا يرضى به حتى يأتى أبا بكر رضى الله عنه بعد ذلك والشبهة عنده لم تزل فيعيدها عليه » . قال ابن القيم : « ولعمرى لقد نزع أبو القاسم (السهيلى) بذنوب صحيح ، ولكن المحفوظ هو الذى وقع فى البخارى ، وعليه عامة أهل السير والمسانيد والسنن ، وأما ما نسب اليه عمر رضى الله عنه فقد أجيب عنه بأنه كان يرجو النسخ وموافقة ربه له فى ذلك كما تقدم له أمثالها ، فانه كان يقول القول فينزل به الوحى ؛ على أن المقام كان مقام محنة وابتلاء ، عجز عنه صبر أكثر الصحابة ولم يتسع له بطانهم ، وداخلهم من الهم والقلق والتحرق على أعدائهم أمر عظيم ، وعذرهم الله سبحانه لقوة الوارد وضعفهم عن حمله ، حتى لم يحمله عمر رضى الله عنه فى قوته وشدته ، واحتمله رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وكان جوابهما من مشكاة واحدة » . وليس وراء ذلك درجة فى الفضل ورسوخ الإيمان ؛ وقد حقق الله تعالى لنبيه وصديقه وعدهما بجاء الفتح المبين .

روى الحاكم من حديث مجمع بن جارية قال « شهدت الحديبية فلما انصرفنا وجدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم واقفا عند كراع الغميم وقد جمع الناس فقرأ عليهم « إنا فتحنا لك فتحا مبينا » ، فقال رجل : يارسول الله أو فتح هو ؟ فقال : إى والذى نفسى بيده » ! قال الشعبى : « إنا فتحنا لك فتحا مبينا » : الحديبية ، « وغفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر » وتبايعوا بيعة الرضوان ، وأطعموا نخيل خيبر ، وظهرت الروم على فارس ، وفرح المسلمون بنصر الله ؟

صادق ابراهيم عرجون

التصوف والمتصوفون

— ٦ —

القشـــــيرى

حياته :

ولد عبد الكريم أبو القاسم القشيرى فى سنة ٣٧٦ هـ فى خراسان من أسرة يرجع تاريخ استقرارها فى تلك البلاد الى عهد الفتح الاسلامى . ولما شب ذهب الى نيسابور ، ليتلقى فيها العلم ، فالتقى هناك بأبى على الدقاق كبير أساتذة المتنسكين فى تلك المدينة فى ذلك العصر ، وأخذ يختلف الى دروسه ، فدفعه هذا الأستاذ فى طريق الصوفية ثم زوجه ابنته . وفى سنة ٤٣٧ هـ ألف رسالته القشيرية الشهيرة . وفى سنة ٤٤٨ هـ ارتحل الى بغداد ؛ وهناك جعل يلقى دروسا فى السنة والفقه على مذهب الامام الشافعى ، ثم عاد الى نيسابور ، وتوفى فيها فى سنة ٤٦٥ هـ .

أهم مؤلفاته :

إن أهم مؤلفات القشيرى فى التصوف كتابان ، وهما : الرسالة القشيرية ، والترتيب فى طريق الله ، لأن الأولى سجلت عن الصوفية الذين سبقوا مؤلفها أوثق المعارف ، وهى لهذا تعتبر فى مقدمة المصادر المعتمدة عن التصوف والمتصوفين . وسنرى أن الغزالى مدين لهذه الرسالة بالشىء الكثير .

كتب القشيرى هذه الرسالة الى طوائف الصوفية فى جميع بلاد الاسلام ، فترجم فيها لاثنين وثمانين شيخا من شيوخهم بعد أن أعلن تشاؤمه بما آل اليه مصير هذه الطائفة فى عصره ، فقال : « اعلموا رحمكم الله أن المحققين من هذه الطائفة انقرض أكثرهم ولم يبق فى زماننا هذا من هذه الطائفة إلا أثرهم ، كما قيل :

أما الخيام فانها كخيامهم ... وأرى نساء الحى غير نسائها

حصلت الفترة فى هذه الطريقة بل اندرست بالحقيقة » .

تنقسم هذه الرسالة الى قسمين أساسيين : فالأول عنى بالأحوال التنسكية التى منحها الصوفية من قبله اهتماما عظيما وحددوها تحديدا دقيقا . والقسم الثانى عنى بأخلاق المتصوفين .

ومما ذكر فى القسم الأول أحوال الاضطراب والانقباض والانبساط ، والفراق والاجتماع والذكر والسكر .

وهذه العبارات فى ذاتها — كما يلاحظ الأستاذ كارادى فو — كانت واضحة بسيطة لا تخرج عن شرحها عواطف النفس فى حالة قربها من الإله ، ولكن المتصوفين قد عقدوها بما وضعوا لها من تعريفات متعملة .

اهتم القشيرى فى هـذه الرسالة على الأخص بالأحـوال دون المقامات ، إلا أنه رغم ذلك ذكر من هـذه الأخيرة ثلاثة : الأول مقام التوحيـد ، والثانى مقام الوجد ، والثالث مقام الوجود . وهذا الأخير هو الغاية العليا .

أما الأخلاق الصوفية فقد بدأها بمقدمة عن حياة الزهادة قال فيها : إن مبدأ هذه الحياة هو الندم ، وهو ثلاث درجات : التوبة والإنابة والأوبة . وبعد ذلك وصف سلوك المتنسكين ومشاعرهم ، فذكر الاجلال والمجاهدة ، والخلوة والعزلة والمراقبة ، والصبر والشكر ، والخوف والرجاء . وأخيرا ذكر الفضائل الضرورية للصوفى ، وهى : الصمت والاستهانة بالنفس ، والخشوع والتوكل ، وما شاكل ذلك .

أما الكتاب الثانى فهو كمنهج للمبتدئين فى التصوف . وقد كان لهذين الكتابين أثر عظيم فى عصرهما وفى العصور التى تلته .

الجيلانى :

ولد عبد القادر الجيلانى فى جيلان فى سنة ٤٧٠ هـ من أسرة تنتسب الى على . وقد سجلت أخيلة الشعب حول طفولته وشبابه كثيرا من الخرافات ، فنبأتنا إحـداها بأنه كان إذا حل شهر رمضان ينقطع عن الرضاع . وذكرت لنا خرافة أخرى أنه حين اتجـه الى بغداد فى الثامنة عشرة من عمره عرض له الخضر وحال بينه وبينها سبعة أعوام ، وبعد أن زال خوفه عليه من فتن تلك المدينة الزاخرة بالشكوك والريب سمح له بالدخول .

أما التاريخ الحقيقى ، فهو يحدثنا أنه حين شب توجه الى بغـداد ليدرس فيها الفقـه على مذهب الحنابلة ، وكان ذلك فى سنة ٤٨٨ هـ ثم التقى هناك ببعض الصوفية فأخذ عنهم الطريق . وفى سنة ٥٢١ هـ بدأ يلقى دروسا على الجماهير فى الوعظ والارشاد ، ثم اشتهر بالصلاح والتقوى ، وعلى أثر ذلك نسبت اليـه كرامات كثيرة وعبارات لم يقلها ، وآراء لم يعتقـدها . فمن ذلك مثلا ما حدثتنا به إحدى الخرافات من أنه كان يقول : إن الأحوال الصوفية عندى كأثواب معلقة فى حجرة ألبس منها ما أشاء . أو يقول : إذا سألتم الله شيئا فاسألوه باسمى فانى رئيس الملائكة والأناسى والجن . أو يقول : أيها المريد سافر ألف سـنة ، لتسمع كلمة من فمى . أو يحدثنا عن نفسه فيقول : « كنت وأنا ابن عشر سنين فى بلدنا أخـرج من دارنا وأذهب الى المكتب فأرى الملائكة عليهم السـلام تمشى حولى ، فاذا وصلت الى المكتب سمعت الملائكة يقولون : افسحوا لولى الله حتى يجلس ، فمر بنا يوما رجل ما عرفته يومئذ ، فسمع الملائكة يقولون ذلك ، فقال لأحدهم : ما هذا الصبى ؟ فقال له أحدهم : هذا من بيت الأشراف ، قال : سيكون لهذا شأن عظيم ؛ هذا يعطى فلا يمنع ، ويمكن فلا يحجب ، ويقربُ فلا يمكر به .

ثم عرفت ذلك الرجل بعد أربعين سنة فإذا هو من الأبدال فى ذلك الوقت (١) » .
أو كقوله : « كنت صغيرا فى بلدنا فخرجت الى السواد فى يوم عرفة وتبعت بقرة حراثة ، فالتفتت إلىّ بقرة وقالت : يا عبد القادر ما لهذا خلقت ، فرجعت فزعا الى دارنا وصعدت الى سطح الدار ، فرأيت الناس واقفين بعرفات ، فجئت الى أمى وقلت لها : هبينى لله عز وجل وأذنى لى فى المسير الى بغداد أشتغل بالعلم وأزور الصالحين ، فسألتنى عن سبب ذلك ، فأخبرتها خبرى (٢) » .

هذا هو نموذج مما نسب زيفا الى الجيلانى وأثبت فى بعض الكتب المنتحلة ككتاب « قلائد الجواهر فى مناقب الشيخ عبد القادر » ، وهو كتاب ألفه محمد بن يحيى التاد فى الحنبلى ، وليس فيه ما يعتمد عليه ، ولكن بهامشه رسالة حقيقية كتبها الجيلانى ، وعنوانها : « فتوح الغيب » ، وبمطالعتها يرى الباحث التناقض المدهش الموجود بين العبارات المفعمة بالكبرياء والغرور المثبتة فى الكتاب المزيف ، والعبارات المتواضعة المفعمة بالتقوى المثبتة فى هذه الرسالة ، كقوله مثلا :

« اتبعوا ولا تبتدعوا ، وأطيعوا ولا تمرقوا ، ووحدوا ولا تشركوا ، ونزهوا الحق ولا تتهموا ، وصدقوا ولا تشكوا ، واصبروا ولا تجزعوا ، واثبتوا ولا تنفروا ، واسألوا ولا تسأموا ، وانتظروا وترقبوا ولا تيأسوا ، وتآخوا ولا تتعادوا ، واجتمعوا على الطاعة ولا تتفرقوا ، وتحابوا ولا تباغضوا ، وتطهروا عن الذنوب ، وبها لا تتدنسوا ولا تتلطخوا ، وبطاعة ربكم فتزينوا ، وعن باب مولاكم فلا تبرحوا ، وعن الإقبال عليه فلا تتولوا ، وبالتوبة فلا تسرفوا ، وعن الاعتذار الى خالقكم فى آناء الليل وأطراف النهار ، فلا تملوا ، فلعلكم ترحموا وتسعدوا ، وعن النار تبتعدوا ، وفى الجنة تحبروا ، وإلى الله توصلوا » (٣) أو قوله :

« ... مع حفظ لحدود الأوامر والنواهى ، فان انخرم فيك شىء من الحدود فاعلم أنك مفتون متلاعبة بك الشياطين ، وارجع الى حكم الشرع ودع عنك رأى الهوى لأن كل حقيقة لم تشهد لها الشريعة فهى زندقة » (٤) .

وأخيرا توفى فى سنة ٥٦١ هـ — سنة ١١٦٥ م .

أما مؤلفاته فكثيرة ، منها : « فتوح الغيب » و « الفتح الربانى » و « الغنية لطالبى طريق الحق » و « جلاء الخاطر » وغيرها .

---

(١) انظر صفحة ١١ من كتاب « قلائد الجواهر فى مناقب الشيخ عبد القادر تأليف الشيخ محمد بن يحيى التادفى . (٢) انظر صفحة ١٠ من الكتاب المذكور . (٣) انظر صفحتى ٦ و ٧ من رسالة فتوح الغيب للشيخ محيى الدين عبد القادر الجيلانى . (٤) انظر صفحتى ٩٨ و ٩٩ من الرسالة المذكورة .

أبو نجيب السهروردى .

ولد أبو نجيب السهروردى فى مدينة سهرورد حوالى سنة ٤٩١ هـ من أسرة تنتمى الى أبى بكر الصديق . ومنذ طليعة شبابه ارتحل الى بغداد وتخصص فى دراسة الفقه ، وبعد أن أتم دراسته ارتحل الى « إصبهان » وكان قد بدأ يتصوف ، فاحترف السقاية ليعيش من عرق جبينه ، وفى هذه الآونة اشتهر بالتقوى ، ووقف كل أوقات فراغه على الذكر وإرشاد المريدين ، فنال احترام الجماهير ، وبنى أهل المدينة له ولمريديه عدة ملاجئ . وبعد ذلك عاد الى بغداد واشتغل فيها بتدريس السنة لعدد كبير من التلاميذ .

وفى سنة ٥٥٨ هـ ارتحل الى دمشق ، فخلع عليه نور الدين زنجى خلعا فاخرة . وأخيرا عاد الى بغداد فاستقر فيها حتى توفى بها فى سنة ٥٦٤ هـ .

أما مؤلفاته فلم يأتنا من أنبائها إلا نبأ كتابيه : « آداب المريدين » و « شرح أسماء الله الحسنى » ولم يرد فيهما من الآراء ما يؤخذ على مؤلفهما . وبهذا يتضح أنه كان من المتصوفين العمليين ، أو من قسم السنيين الذين لم يتأثروا بالفلسفة فى نظرياتهم التنسكية .

« يتبع »

الدكتور محمد غلاب
أستاذ الفلسفة بكلية أصول الدين

بم ينال السودد

قال النبى صلى الله عليه وسلم : « من أسرع به عمله ، لم يبطئ به حسبه ، ومن أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه » .

هذا كلام من لباب الحكمة ، وهو من صميم الديمقراطية الإسلامية . ومعناه أن من حسن عمله لم يبطئ به شىء عن نيل السؤدد ، ومن ساء عمله لم ينفعه نسبه ، ولو اعتزى الى أعظم عظيم فى الأرض .

وقال قس بن ساعدة الإيادى ، وكان من حكماء العرب : من فاته حسب نفسه ، لم ينفعه حسب أبيه .

والحسب ما يكسبه المرء بنفسه من المحامد .

ولما انفرد سفيان بن عيينة برياسة العلم ومات نظراؤه من العلماء ، أنشد :

خلت الديار فسدت غير مسوَّد ومن الشقاء تفردى بالسودد

باب الأسئلة والفتاوى

ادارة أموال القصر

ورد الى لجنة الفتوى بالجامع الأزهر من حضرة عبد المطلب افندى الحسينى الاستفتاء الآتى ملخصه :

حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الجليل وكيل الجامع الأزهر ورئيس لجنة الفتوى .

ألّف المرحوم الحاج محمد حسن نمر شركة بينه وبين أولاده وزوجته على نظام مدوّن فى العقد ومذكرة التأسيس المرفوعين مع هذا الاستفتاء .

ثم أقام أولاده الثلاثة : راضى افندى ، وحسن افندى ، وابراهيم افندى ، أوصياء على أولاده القصر : هاشم ، ونجاة ، وعمر ؛ وقد صدر بتلك الوصاية قرار من محكمة نابلس الشرعية مرفوع أيضا مع بقية المستندات الى فضيلتكم ، وقد اختلف الأوصياء فى أمر يتعلق بأموال الشركة التى للقصر فيها سهام .

والمرجو التفضل باصدار فتوى تبين ما الذى ينبغى الأخذ به فى إدارة تلك الأموال من الآراء عند الاختلاف فى الآراء فى الاجتماعات العامة . ولفضيلتكم الشكر والثواب .

الجواب :

اطلعت اللجنة على الاستفتاء المقدم من عبد المطلب افندى الحسينى ، وعلى الأوراق المقدمة معه ، وهى :

(١) صورة من قرار الوصاية الصادر من قاضى نابلس الشرعى فى ٣٠ ربيع الآخرة سنة ١٣٥٩ (٧ مارس سنة ١٩٤٠) .

(٢) صورة من مذكرة تأسيس شركة باسم الحاج محمد حسن نمر وأولاده لمتد ، (محدودة الضمان) .

(٣) صورة من قانون الشركة .

(٤) إيضاح من المستفتى يبين عدد المساهمين الآن فى شركة الحاج محمد حسن نمر ، وعدد

الذين لهم حق حضور الاجتماعات العامة فى هذه الشركة والذين لا يحضرون الاجتماعات لمانع أو للتنازل ، وعدد أعضاء مجلس إدارة الشركة وأشخاصهم .

وتبين للجنة بعد الاطلاع على هذه الأوراق وبحثها ما يأتى :

(١) أن الحاج محمد حسن نمر ألف شركة منه ومن أولاده وزوجته المبينين فى العقد ، ومنهم راضى افندى نمر ، وحسن افندى نمر ، وابراهيم افندى نمر .

(٢) أنه نص فى العقد على أن مجلس إدارة هذه الشركة يتألف من ثلاثة من المساهمين ، وأنهم لا يزيدون عن ثلاثة ، وأن مجلس الادارة يتولى شئون الشركة فيما عدا الأمور التى نص على أنها من اختصاص الاجتماعات العامة .

ونص فى القانون أيضا على أن القرارات التى تطرح للتصويت فى الاجتماعات العامة تتخذ بأكثرية أصوات حاملى الأسهم الحاضرين شخصيا أو بالوكالة ، وإذا تساوت الأصوات يكون للرئيس صوت مرجح .

(٣) أن الموصى هو الحاج محمد حسن نمر مؤلف الشركة ، وأن الأوصياء الذين فى قرار الوصاية هم راضى افندى وحسن افندى وابراهيم افندى أولاده ومؤلفو الشركة معه أيضا .

(٤) أن القصر هم هاشم وعمر ونجاة .

(٥) أن القصر المذكورين مساهمون فى الشركة .

(٦) أن هاشما وعمر يملكان النصاب الذى يخولهما حق حضور الاجتماع العام بمقتضى قانون الشركة ، ولكنهما قاصران فلا يجوز حضورهما بل يحضر عنهما الأوصياء عليهما .

(٧) أن نجاة قاصرة ولا تملك النصاب الذى يخولها حق حضور الاجتماعات العامة .

(٨) أن السيدة صباح والدتهم تملك النصاب الذى يخولها حق حضور الاجتماع العام ولكنها متنازلة عنه وتاركة إياه لأولادها راضى وحسن وإبراهيم .

ومن ذلك كله يتبين أن من له حق حضور المجلس العام لاتخاذ القرارات العامة ينحصر فى أعضاء مجلس الادارة الذين هم أنفسهم الأوصياء الثلاثة .

ويتبين كذلك أن راضى افندى وحسن افندى وإبراهيم افندى يحضرون الاجتماعات العامة بصفتهم شركاء مساهمين فى الشركة لهم حق حضور تلك الاجتماعات ، وبصفتهم أوصياء على القصر المساهمين فيها أيضا ، فيكونون خاضعين لقانون الشركة الذى يقرر أن اتخاذ القرارات العامة يكون بأغلبية الآراء كما هو منصوص فى المادتين الرابعة والعشرين والخامسة والعشرين من قانون الشركة .

وبنـاء على ما تقدم : ترى اللجنة أنه إذا اختلف هؤلاء الشركاء الأوصياء فى أمر يتعلق بالشركة أو بحقوق القصر فيها فإن الرأى يكون للأغلبية ، بشرط أن لا تخرج هذه الأغلبية عن مرامى الشرع الشريف من توخى المصلحة العامة ، والابتعاد بأموال الشركة عن المعاملات غير المشروعة فى الدين الحنيف ، كما ينص على ذلك البند السادس عشر من مذكرة التأسيس . والله أعلم .

رئيس لجنة الفتوى

محمد عبد اللطيف الفحام

تعلم السحر وحكمه

جاءنا من أحد طلبة المعهد الأحمدى هذا السؤال :

هل تعـلم السحر جائز أم حرام (١) لأن عندنا بعض المنتسبين الى العلم يفتى بجوازه ، بحجة أنه يخلص الناس مما يقعون فيه من الأضرار ولا يضر أحداً . وحجته القوية فيما يزعم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « تعلموا السحر ولا تعملوا به » ، الى أن قال : وأخيرا أجمعنا على استفتاء فضيلتكم فى هـذا المبحث الخطير ونشره بمجلة الأزهر التى هى مجلتنا الزهراء فى أقرب عدد ممكن . لا زلتم محفوفين بعناية الله ورعايته ، والسلام ؟

ابرهيم محمد حسين
بمعهد طنطا الأحمدى

الجواب :

الفاصل فى ذلك كله هو الحديث الشريف الذى هو القاعدة العظمى فى كل شىء ، وهو قوله صلى الله عليه وسلم : « إنمـا الأعمال بالنيات وإنمـا لـكل امرئ ما نوى » . وأما قوله « تعلم السحر ولا تعمل به » فليس بحديث ألبتة . وكثير من العلماء يمنع تعـلم السحر مطلقا ويرى قتل الساحر ، وإن لم يقتل أحداً بسحره ، ولـكن الصحيح الذى يوجبه الـبرهان ويطمئن له الوجدان وتشهد له أصول الشريعة ، أن الأمور بمقاصدها والأعمال بآثارها ، وإن كان اللازم أن يحتاط الانسان لنفسه ولا يأمنها ، وأن يراقب هـواها فى الدقيق والجليل « وما أبرئ نفسى إن النفس لأمارة بالسوء » ، « ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله » ، « فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون » .

---

(١) هذه عبارته ، وإن كانت (هل) لا يؤتى لها بمعادل إلا على رأى ضعيف لأنها لطلب التصديق لا التصور كما هو مقرر فى محله .

وبنـاء على ما تقدم : ترى اللجنة أنه إذا اختلف هؤلاء الشركاء الأوصياء فى أمر يتعلق بالشركة أو بحقوق القصر فيها فإن الرأى يكون للأغلبية ، بشرط أن لا تخرج هذه الأغلبية عن مرامى الشرع الشريف من توخى المصلحة العامة ، والابتعاد بأموال الشركة عن المعاملات غير المشروعة فى الدين الحنيف ، كما ينص على ذلك البند السادس عشر من مذكرة التأسيس . والله أعلم .

رئيس لجنة الفتوى

محمد عبد اللطيف الفحام

تعلم السحر وحكمه

جاءنا من أحد طلبة المعهد الأحمدى هذا السؤال :

هل تعـلم السحر جائز أم حرام (١) لأن عندنا بعض المنتسبين الى العلم يفتى بجوازه ، بحجة أنه يخلص الناس مما يقعون فيه من الأضرار ولا يضر أحداً . وحجته القوية فيما يزعم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « تعلموا السحر ولا تعملوا به » ، الى أن قال : وأخيرا أجمعنا على استفتاء فضيلتكم فى هـذا المبحث الخطير ونشره بمجلة الأزهر التى هى مجلتنا الزهراء فى أقرب عدد ممكن . لا زلتم محفوفين بعناية الله ورعايته ، والسلام ؟ ابرهيم محمد حسين

بمعهد طنطا الأحمدى

الجواب :

الفاصل فى ذلك كله هو الحديث الشريف الذى هو القاعدة العظمى فى كل شىء ، وهو قوله صلى الله عليه وسلم : « إنمـا الأعمال بالنيات وإنمـا لـكل امرئ ما نوى » . وأما قوله « تعلم السحر ولا تعمل به » فليس بحديث ألبتة . وكثير من العلماء يمنع تعـلم السحر مطلقا ويرى قتل الساحر ، وإن لم يقتل أحداً بسحره ، ولـكن الصحيح الذى يوجبه الـبرهان ويطمئن له الوجدان وتشهد له أصول الشريعة ، أن الأمور بمقاصدها والأعمال بآثارها ، وإن كان اللازم أن يحتاط الانسان لنفسه ولا يأمنها ، وأن يراقب هـواها فى الدقيق والجليل « وما أبرئ نفسى إن النفس لأمارة بالسوء » ، « ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله » ، « فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون » .

---

(١) هذه عبارته ، وإن كانت (هل) لا يؤتى لها بمعادل إلا على رأى ضعيف لأنها لطلب التصديق لا التصور كما هو مقرر فى محله .

ولنتل عليك ما قاله العلماء فى ذلك الموضوع ، وما وقع بينهم من الخلاف فى ذلك فنقول :

اختلفوا فيمن يتعلم السحر ويستعمله ، فقال أبو حنيفة ومالك وأحمد : يكفر بذلك . ومن أصحاب أبى حنيفة من قال : إنْ تعلمه ليتقيه أو ليجتنبه ، فلا يكفر ، ومن تعلمه معتقداً جوازه أو أنه ينفعه كفر ، وكذا إن اعتقد أن الشياطين تفعل له ما يشاء فهو كافر . وقال الشافعى رحمه الله : إذا تعلم السحر قلنا له : صف لنا سحرك ، فإن وصف ما يوجب الكفر مثل ما اعتقده أهل بابل من التقرب الى الكواكب السبعة وأنها تفعل ما يلتمس منها فهو كافر ، وإن كان لا يوجب الكفر فان اعتقد إباحته فهو كافر . قال ابن هبيرة : وهل يقتل بمجرد فعله واستعماله ؟ فقال مالك وأحمد : نعم . وقال الشافعى وأبو حنيفة : لا . فأما إن قتل بسحره إنسانا فانه يقتل عند مالك الشافعى وأحمد ، وقال أبو حنيفة : لا يقتل حتى يتكرر منه ذلك أو يقر بذلك فى حق شخص معين . وإذا قتل فانه يقتل حداً عندهم ، إلا عند الشافعى فانه قال : يقتل والحالة هذه قصاصاً . قال : وهل إذا تاب الساحر تقبل توبته ؟ فقال مالك وأبو حنيفة وأحمد فى المشهور عنهم : لا تقبل ، وقال الشافعى وأحمد فى الرواية الأخرى : تقبل . ولنكتف بهذا القدر سائلين الله التوفيق والتسديد ، والسلام ؟

يوسف الدجوى
عضو جماعة كبار العلماء

ذم التظاهر بالورع

روى أبو الحسن المدايني قال : دخل محمد بن واسع على قتيبة بن مسلم والى خراسان ، وهو من أهل القرن الأول ، فى مدرعة صوف .

فقال له الأمير : ما يدعوك الى لباس هذه ؟

فسكت محمد بن واسع .

فقال له قتيبة : أكلمك لا تجيبنى ؟

قال محمد بن واسع : أكره أن أقول : زهداً فأزكى نفسى ، أو أقول : فقراً فأشكو ربى ، فما جوابك إلا السكوت . وكان محمد صادق الورع ، ولذلك وجد الجواب المسكت .

فالذين يتظاهرون بالورع إنما يقصدون به تصيد المغانم .

قال أبو العلاء فى أهل الرياء :

إذا رام كيداً بالصلاة مقيمها فتاركها عمداً الى الله أقرب

مقارنة ومفاضلة

بين الشريعة الاسلامية والشرائع الأخرى

— ٣ —

تكلمت فى المقال السابق من العدد الفائت من هذه المجلة المباركة عن الشريعة الاسلامية وكيف بدأت والى أى مدى وصلت ، وألممت إلماعاً خفيفاً عما كانت عليه شريعة الرومان التى طالما تغنى بها الغربيون واعتبروها الطابع المميز لحضارة الرومان ورقيهم الفكرى وثقافتهم القانونية ، ووقفت عند ذكر بعض الأمثلة لبيان الفروق بينها وبين الشريعة الاسلامية ، وأرى للعدالة فى المقارنة أن أتكلم عن شريعة الرومان وكيف نشأت وكيف تطورت وكيف انتهت ، مع الإيجاز التام ، والاختصار الغير المضيع للفائدة .

أنشئت روما فى القرن الثامن قبل ميلاد المسيح ، فكانت عبارة عن جماعة صغيرة من الزراع والرعاة ، مكونة من ثلاث قبائل على مقربة من نهر التيبر . وكانت حياتهم الاقتصادية عبارة عن زراعة الأرض وتربية الدواب ، وكانوا يعيشون فى نظام الأبوة على رأس كل أسرة ربها الذى له مطلق السلطان والسيطرة عليها . فيخضع له كل ما بالمنزل من أشياء بما فيهم الزوجة والولد والرقيق ومن لجأ اليه . وهو الذى يفصل فى المنازعات بين أفراد أسرته ، وله أن يوقع من العقوبات ما شاء من حبس ونفى وتعذيب وموت دون أن يتقيد برأى لغيره .

أما نظامهم السياسى فقد كان يتناسب مع النظام العائلى ، وينحصر فى ثلاثة عناصر :

(١) الملك ، وهو الذى ينتخبه مجلس الشعب للحكم مدى حياته ، فيكون رئيسا للديانات ، ويدير أعمال المدينة كما يدير رب الأسرة أعمال منزله ، ويقود الحروب ، ويحكم بين العائلات .

(٢) مجلس الشيوخ ، وهو مكون من رؤساء العشائر ، وعمله أنه محل استشارة الملك فى الأمور الخطيرة ، وإن كان الملك قد لا يتقيد برأيه أحيانا ، وينظر كذلك فى قرارات مجلس الشعب .

(٣) مجلس الشعب ، وهو مكون من مجموعة من رجال الرومان الأحرار لا فرق بين الوالد والولد ، كل يجتمع للجهاد .

أما نظامهم القانونى فقد كان مصدره التقاليد المبنية على المعتقدات الدينية التى كانت أساساً لنظام الملك ونظام الأسرة . وكانت الجزاءات دينية ينطق بها الملك أو رب الأسرة ، فكل خروج على سلطته وكل إنكار لحقوقه يعتبر خطيئة تستوجب سخط الآلهة والاقتصاص

ممن ارتكبها . وكان لزواجهم وطلاقهم وتقاضيهم والعتق والتبني أنظمة مصبوغة بصبغات دينية ، وكان الملك باعتباره رئيس الديانات يقرر القواعد الدينية تبعاً لما يراه متفقا وإرادة الآلهة .

وكانت هناك جماعة ليست من أهل روما الأصلاء ، فمنهم من كان نزيلا ، ومنهم من كان مهاجرا أو لاجئا لم يخضع لحالة الرق ، ولم يلجأ لحماية أسرة ، بل استمر تحت حماية الملك ، فنمت تلك الجماعة حتى صارت أغلبية فى المدينة أطلق عليها اسم العامة أو الرعاع ، وكان هؤلاء العامة أو الرعاع محرومين من النظم القانونية ومن الحقوق العامة ، وكانت العائلات الرومانية الأصيلة هى الارستوقراطية التى تتمتع وحدها بالحكم وبكل الحقوق ، واستمر ذلك الى عهد الملك السادس (سرفيوس تاليوس) السابق للملك الأخير ، ثم تذمر الأشراف من تحملهم وحدهم أعباء الضرائب والجهاد ، كما تذمر العامة من حرمانهم من الحقوق المدنية والسياسية ، مما جعل الملك يحدث تغييرا فى النظام بأن كفل للعامة حق الاقتراع ، وفرض عليهم الضريبة والخدمة العسكرية بأن قسم جميع الاحرار من سكان روما الى خمسة أقسام انتخابية وحربية ، لا بحسب الأسر وإنما بحسب الثروة ، وكل قسم يشمل العامة والأشراف ، وترتب على هذا قيد أسماء الأهالى والملاك فى سجلات المدينة ، ويتغير هذا القيد بتغير التصرفات فى الأملاك ، وللتثبت من هذا التغير نشأ نظام الإشهاد الذى هو عقد يتم إجراؤه بصفة علنية رسمية بحضور خمسة من الرومان كشهود ، وحامل الميزان الذى يزن مقدار الثمن ، وهنا بدأ تطور جديد ، وتغير النظام القانونى ، فأنشئ نظام خاص بالمعاملات المدنية المحضة بين الأهالى ، كما أنشئ نظام خاص بالروابط العائلية والتوريث بالوصية والعقود .

وإنه وإن كان هذا الإصلاح الذى قام به الملك جعل العامة تنتظم فى عشائر عائلية كالأشراف ، إلا أنهم ما زالوا محرومين من الاشتراك فى مناصب الحكم ، ومن العضوية فى مجلس الشيوخ ومن التزوج بالأشراف ، فخلقت هذه الحالة نزاعا بين العامة والأشراف جعلت العامة يهجرون المدينة بقصد الانفصال عن الأشراف ، فراع ذلك الأشراف واشتد جزعهم ، فأعادوهم وسمحوا لهم بنظام خاص يماثل نظام الأشراف ، فشكلت لجنة الحكام العشرة من العامة والأشراف ووضعوا قانونا صادق عليه مجلس الشعب ، ونقشت نصوصه فى اثنى عشر لوحا من الخشب ، وقيل من البرنز ، ونصبت تلك الألواح فى روما ، وكان ذلك قبل ميلاد المسيح بنحو ٤٥٠ سنة ، وسمى هذا القانون بقانون الألواح الاثنى عشر ، وهو البناء الأساسى للشريعة اللاتينية ، كما أنه هو فاتحة التطورات فى العصور التالية ، أما هذا القانون فقد صيغت عباراته فى أسلوب شعرى موجز ، وأحكامه خاصة بالنظم المدنية مستقلة عن الدين ، فلم تشتمل لا على كفارات ولا على عقوبات دينية ، وكانت بعض قواعده مستعارة على الاخص من القوانين اليونانية ، وبعضها تسجيلا للتقاليد التى كانت متبعة فى روما قبل وضعه ، ومع ذلك فقد

كان تشريعا ضيقا فى إجراءاته ، قاسيا فى أحكامه فطريا فى مبادئه ، يضيع الحق بهفوة شكلية ، ويقتل المدين إن لم يسدد ما عليه لدائنه من الدين ، ويقتص المجنى عليه بيده من خصمه ، وكان نظام الوصاية والقوامة مقررا على القصر والنساء والمجانين والسفهاء لمراعاة صالح الوصى أو الأسرة أكثر منه لصالح المشمول بالوصاية أوالقوامة ، وكانت العقود كلها شكلية ، ونظام الدعاوى فيه بقية من العهد الفطرى الذى يخول للشخص أن يأخذ حقه بيده دون الالتجاء للسلطة العامة ، وكانت الدعاوى أربعة : الأولى وتسمى أخذ رهينة ، وهى أن يستولى الدائن على بعض أموال مدينه حتى يسدد . والثانية ، وتسمى إلقاءاليد ، وهى أن يضع الدائن يده على المدين الذى تعهد بالدين فى عقد الاستدانة وذلك بغير حكم من القاضى ، وكذلك يأخذ المدين الذى حكم عليه فى دعوى القسم سجينا حتى يدفع الدين وإلا قتله أو باعه ، ويتم القبض على المدين أمام القاضى ، فإن اعترض شخص آخر على هذا القبض برئ المدين نهائيا ونشأت دعوى جديدة بين الدائن والمعترض ، فإذا اتضح أنه تدخل بغير حق حكم عليه مضاعفا جزاء له . والثالثة ، وتسمى دعوى القسم ، وهى التى يدعى رافعها بحق على آخر ، فإن أقر الخصم أو سكت نفذ عليه الحكم فى الدعوى الثانية ، وإن نازع يقسم كل منهما على صحة دعواه ثم تحال على حكم للتحقيق ، فإن تبين أن المدعى حلف صادقا نفذ على خصمه كما فى الدعوى الثانية . والرابعة ، وتسمى طلب الحكم وهى خاصة بطلب التعويض عن الضرر وقسمة المشاع وفصل الحدود .

هذا هو مجمل ما كان سائدا من القواعد فى عهد الألواح الاثنى عشر ، وهى التى كانت تسمى بقانون الرومان . وقد بدأ عهد الجمهورية التالى للألواح سنة ٨٩ ق . م فتطور القانون فى خلال القرون الباقية من الجمهورية حتى خرج من قواعد الشكليات الضيقة بأن أضيف إليه نظم ومبادئ جديدة دعت إليها العدالة وضرورة المعاملة ، كما بدأ تطور بالتسوية التامة بين طبقتى العامة والأشراف فأصبح الزواج مباحا بينهما ، كما أصبح مجلس الشيوخ ومناصب الحكم والوظائف الجديدة مثل وظيفة (البريتور) . Censeur Préteur أو الحاكم القضائى ووظيفة المكلف بالتعداد والإدارة المالية من حق العامة الاشتراك فيها ، وكانت وظيفة (البريتور) التى أنشئت سنة ٣٦٧ ق . م هى سماع عبارات الطرفين فى الدعوى ، فإن كانت متفقة مع نصوص الألواح مطابقة للاجراءات أحالها على حكم للفصل فيها وإلا رفضها وصرف الخصمين ولو كان الظلم ظاهراً ، غير أن (البريتور) رأى فى ذلك النظام العتيق ضياعا للحقوق ، فلا محل للصيغ الرسمية ولا للاجراءات الشكلية ، فغيره بنظام جديد بحيث يشرح كل خصم دعواه على الصورة التى يراها ، وقد صدر قانون تشريعى سمى بقانون « إيبوتيا » Loi Aebutia ق . م بنحو ٢٠٠ سنة يؤيد هذا النظام .

وبذلك اتسع التشريع كما اتسع نطاق الدولة الرومانية فى عهد الجمهورية الأخير من سنة

٨٩ ق . م فكثرت الفتوحات وتغيرت الحياة الاجتماعية وضعف الإيمان بالأديان وضاع احترام التقاليد، وانتقل كثير من الرومان الى مستعمرات أخرى، وأخذت الأفكار القانونية فى التهذيب والإصلاح ، وكان الفضل فى هذه الحركة العلمية راجعا الى الفقهاء والشراح حتى اعتبر هذا العهد فاتحة للعصر العلمى ، وكان من الفقهاء المشهود لهم بالبلاغة والقوة فى الكتابة « شيشيرون » ذلك الذى اعتنق فلسفة الزهد اليونانية وتناول نظرية القانون الطبيعى بالتهذيب واعتبره مصدرا لقانون الشعوب ، وكان لعمله هذا أثر خطير فى تطور القانون الرومانى فى العصر الامبراطورى الأخير، وكان يعتبر حسن النية ميزانا للتعامل بين الناس ، وقد بلغ القانون الرومانى مرحلته الأخيرة فنسق وقسم وصيغ فى نصوص محدودة ومجموعات رسمية وغير رسمية ، الى أن بدأ انتشار الديانة المسيحية فى أوائل القرن الرابع بعد الميلاد ، فتغلبت الروح الدينية على نفوس القياصرة ، فأنشأوا نظما وقواعد تتمشى مع هذه الديانة المسيحية ، وألغوا نظما وقواعد ومبادئ كانت مخالفة لها ، كتحريم الزواج بين المسيحيين واليهود وغير ذلك ، الى أن جاء جستنيان سنة ٥٢٧ م ورأى كثرة التنوع فى مصادر التشريع وكثرة المبادئ القانونية ، فبذل الجهود لجمع القوانين حتى صدرت فى قالب موجز ذى صبغة رسمية للعمل بها فى المحاكم ، وأخيرا وفى سنة ٥٣٣ م وضعت مجموعة علمية أطلق عليها اسم « النظم القانونية » وهى موجز لآراء الفقهاء فى أربعة كتب ، وكذلك فى عهده جمعت قوانين وقرارات الامبراطورية وأطلق عليها اسم القوانين الجديدة ، كما جمعت كل المدونات القانونية وسميت باسم « مجمع القانون المدنى » وهى آخر مرحلة وصل اليها التطور القانونى الرومانى الذى يعد عملا مجيدا وفخرا خالدا لجستنيان ، والذى اعتبر ميراثا من بعده للعالم الأوروبى . وأهم ما أحدثه جستنيان من الاصلاحات هو هدم السلطة الأبوية وإلغاء حق الوالد فى قتل ولده أو بيعه أو تسليمه وضياع آثار السيادة الزوجية وغير ذلك ، الى أن انتهى عهده سنة ٥٦٥ م .

فالشريعة اللاتينية إذاً بدأت بعهد الألواح الاثنى عشر ، وانتهت بوضع مجاميع جستنيان فى القرن السادس بعد الميلاد .

الى هنا يجب أن نقف ، ومن هنا يجب أن نبدأ بالمقارنة والمفاضلة بين الشريعتين الاسلامية والرومانية ، وموعدنا بذلك العدد الآتى إن شاء الله . وفقنا الله للصواب وسدد خطانا ؟

مصطفى عبد الحميد أبو زيد
المندوب القضائى بالأوقاف الملكية سابقا

تعقيب على السيرة

قرأت مقالكم فى مجلة الأزهر عدد رجب سنة ١٣٦٠ تحت عنوان «الرسالة المحمدية للبشر كافة».

وقد أعجبنى الموضوع جدا ، لكن بالرغم من ذلك وجدت به بعض عبارات جامحة ، وبعض جمل لا يصح إغماض الطرف عنها ، لأنها تمس صحيحى البخارى ومسلم ، وربما كانت تمس غيرهما من كتب الصحيح ، ولم أصدق بادئ ذى بدء أنها للأستاذ الكبير صاحب المقالات الممتعة والأبحاث الشيقة ، وقلت لعلها لأحد « أولئك الذين يريدون أن يظهروا » ولو من باب (خالف تعرف) ، ولذلك أعدت قراءتها ، ثم قلت لنفسى : قد يكبو الجواد وهو كريم ، وينبو السيف وهو صميم ، ويهفو الشيخ وهو عليم . ولاعتقادى حسن نيتكم فيما تكتبون ، وأنكم إنما تكتبون خدمة للحق ، وروم الوصول الى الحقيقة ، كتبت إليكم هذا .

ذكرتم حضرتكم ما رواه علماء الحديث من كتب النبى صلى الله عليه وسلم الى ملوك زمنه وما كان لها من أثر لديهم ، وأن منهم من مزق الكتاب ككسرى ، ومنهم من أسلم بالفعل كالنجاشى ، ومنهم من قارب كهرقل ، ومنهم من جامل ورد ردا جميلا كالمقوقس . ثم كررتم على ما حكى عن هرقل والنجاشى والمقوقس بالنقد ، بل جعلتموه من غير المعقول ، وماذاك إلا لشبهتين : الأولى : أن المسيحيين كانوا متمسكين بدينهم أشد تمسك ، ومن غير المعقول أن يتحول أحد منهم عن دينه ويتقبل دينا آخر بهذه السرعة وبهذه السهولة . الثانية : أن النصارى كانوا يعتبرون أن دينهم قد تم بتجسد الابن وصلبه وافتدائه البشر ، ومن غير المعقول أن المقوقس كان ينتظر نبيا آخر ، وأن يقول : قد علمت أن نبيا قد بقى . ويمكن أن يقال بالقياس على هذا إن من غير المعقول أن يقول هرقل كما فى صحيح البخارى : « قد كنت أعلم أنه خارج ولم أكن أظن أنه منكم » .

وبقيت شبهة ثالثة لا تستحق الإبطال لأنها واهية من أساسها ، وهى أن هرقل لم يكن من سرعة التصديق بحيث يعتمد فى إيمانه على رواية رجال لا يعرف مبلغ صدقهم فيما يقولون ولم يسألهم عما يجب أن يسأل عنه .

فإن المطلع على صحيح البخارى يرى أنه سأل عما يجب أن يسأل عنه ، أسئلة فى منتهى الدقة تدل على عقل ناضج وعلم واسع ، حتى أعجب به رواة الحديث ، وقد علم أن أبا سفيان ومن معه أعداء للنبى صلى الله عليه وسلم ، فكلامهم الذى يشهد للنبى صلى الله عليه وسلم لا يجوز أن يكون موضع شك وريبة لأنه شهادة من عدو .

إذا فأساس البحث فى هذا الموضوع هو : هل كان النصارى يعتبرون أن ديانتهم قد تمت ولا نبى بعد عيسى عليه السلام ، وأنهم كانوا من التمسك بدينهم بحيث يستحيل أن أحدا منهم يسلم بسهولة وسرعة ، أو أن الأمر بالعكس ، أى كانوا يترقبون نبيا آخر ، وأن منهم من هو سريع الانقياد الى الحق متى ظهر ؟

يروق لى أن أسوق اليكم نصا من القرآن الكريم يقلب هاتين الشبهتين رأسا على عقب ، ثم أعقب ببيان السر فى ذلك : قال الله تعالى : « لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ، ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى ، ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون ؛ وإذا سمعوا ما أنزل الى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين » الآيات .

فهذا هو القرآن يقرر لنا جملة حقائق عن النصارى : (١) أنهم أقرب الناس مودة للمؤمنين ، وهذا يستلزم أنهم أقرب الناس لهذا الدين ، لأن تعليق الحكم بالمشتق يؤذن بعلّية مبدأ الاشتقاق ، فهم ما قربت مودتهم من المؤمنين إلا لأنهم مؤمنون . (٢) أن شيمتهم التواضع وعدم الاستكبار والاستنكاف عن قبول الحق . (٣) أن منهم من إذا سمع القرآن فاضت أعينهم من الدمع مما عرفوا من الحق وبادروا بالإيمان .

فما هو رأى سيدى الأستاذ الجليل ، وكيف جاز لطائفة من النصارى أن تبكى بمجرد سماع القرآن ، وكيف لم يمنعها من الإيمان السريع تمسكها بدينها واعتقادها تمامه بتجسد الابن ؟ ولم لا يجوز أن يكون هرقل أو النجاشى أو المقوقس أو أى نصرانى آخر مثل هذه الطائفة ، فى رقة العاطفة ولطف الشمائل وعدم التعصب والانقياد الى الحق ؟ اللهم إن هذا لا مانع منه لاسيما إذا علمنا أن الملوك فى العادة أعلى كعبا فى العلوم والمعارف ، وأرق طباعا وألطف شمائل .

وإذ قد ثبت هذا ، ولا شك فيه ، فلننتقل الى بيان السر فى ذلك ، وبه تعلم السر فى أنه لما افترق الحال بين رد كسرى المجوسى وبين ردود ملوك المسيحية أهل الكتاب ، بل تدرك به السر فى سرعة انقياد كثير من المسيحيين للاسلام الى يومنا هذا متى فهموه على وجهه الصحيح ؟

من المعلوم أن نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم كان مبشرا به فى الكتب السماوية السابقة ؛ يعلم هذا من نصوص القرآن نفسه ، ومن الرجوع الى تلك الكتب نفسها ، والقرآن قد ذكر ذلك فى مواضع كثيرة فى مواجهة اليهود والنصارى ، ولم يجرؤ واحد منهم على تكذيبه ، ولو لم يكن له حقيقة لقامت قيامة اليهود والنصارى وملأوا الدنيا تكذيبا وتشنيعا على صاحب الرسالة صلى الله عليه وسلم .

ولنسق لك بعض الآيات القرآنية فى ذلك الصدد : قال الله تعالى : « ورحمتى وسعت كل شىء ، فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون ، الذين يتبعون الرسول النبى الأمى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والإنجيل » الآية .

وقال الله تعالى حكاية عن عيسى عليه السلام : « ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد » . وقال الله تعالى : « يعرفونه كما يعرفون أبناءهم » . بل قال عبد الله بن سلام : إن معرفتى بمحمد عليه السلام أشد من معرفتى بابنى . فقيل له : وكيف ذلك ؟ فقال : أنا لا أرتاب فى أمر محمد بحال ، وأما ابنى فلا علم لى بما يفعل النساء . فقام عمر فقبل رأسه . فقال الله تعالى « وكانوا من قبل يستفتحون

على الذين كفروا » أى كان اليهود إذا غلبهم مشركو المدينة قالوا لهم : قد آن أوان نبى يبعث نقتلكم معه قتل عاد وثمود « فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به ، فلعنة الله على الكافرين » والمجال فى هذا فسيح والقول فيه يطول ، فلنقتصر على هذا القدر .

أما الكتب السماوية السابقة ، فالمجال فيها أوسع ، ولننقل منها ما فيه الكفاية .

ففى التوراة : جاء الرب من سيناء وأشرق لهم من سعيد وتلألأ من جبل فاران . إصحاح ٣٣ تكوين . وفاران جبل من جبال مكة ، بدليل ما ورد فى التوراة نفسها فى حكاية قصة سيدنا اسماعيل والسيدة هاجر عليهما السلام : وكان الله مع الغلام ، فكبر وسكن فى البرية ، وكان ينمو رامى قوس ، وسكن فى برية فاران . إصحاح ٢٨ تكوين .

وفى التوراة أيضا : قال لى الرب : قد أحسنوا فيما تكلموا ، أقيم لهم نبيا من وسط إخوتهم مثلك ، وأجعل كلامى فى فمه فيكلمهم بكل ما أوصيه به ويكون أن الانسان الذى لا يسمع لكلامى الذى يتكلم به باسمى فأنا أطالبه . إصحاح ١٦ تثنية . وإخوة بنى اسرائيل هم أولاد اسماعيل بلا شك .

وفى إنجيل يوحنا إصحاح ١٦: لكنى أقول لكم الحق : إنه خير لكم أن أنطلق لأنه إن لم أنطلق لا يأتيكم المعزى ، ولكن إن ذهبت أرسله اليكم . وفيه أيضا إصحاح ١٦: إن لى أمورا كثيرة أيضا لأقول لكم ولكن لا تستطيعون أن تحتملوا الآن ، وأما متى جاء ذاك روح الحق فهو يرشدكم الى جميع الحق ، لأنه لا يتكلم من نفسه بل كل ما يسمع يتكلم به ويخبركم بأمور آتية ، ذاك يمجدنى . وهكذا يجد المتتبع لكتب العهدين القديم والحديث بشائر كثيرة لا تدع أدنى فى ريبة شأن محمد عليه الصلاة والسلام .

هذا هو السبب فيما كان من النصارى إجابة على كتب النبى عليه الصلاة والسلام ، بخلاف كسرى الذى لم يكن عنده علم من الكتاب ، ولم يكن منه إلا تمزيق كتاب النبى صلى الله عليه وسلم ، فدعا عليه بأن يمزق الله ملكه ، وقد كان . وهذا هو السبب فى كون كثير من النصارى الى يومنا هذا يدخلون فى دين الله عن طيب نفس وانشراح صدر حتى القسيسين .

وبعد : فليعلم سيدى الأستاذ أن قصة هرقل مع أبى سفيان وصحبه قد رواها البخارى فى صحيحه ، وربما يكون قد رواها غيره من أصحاب الصحاح .

وقصة إسلام النجاشى وصلاة النبى صلى الله عليه وسلم عليه لما مات رواها البخارى ومسلم . فهل يسوغ عقلا أن نكذب هذه الأسانيد الصحيحة بهذه السرعة وبهذه السهولة بمجرد شبهة أظن أنه قد ثبت لك أنها لم تقم على أساس صحيح ؟ والله أسأل لى ولكم السداد فى القول والعمل ؟

محمد عبد الله الجرهنى

ملاحظاتنا على هذا التعقيب

فيما يتعلق بدعوة هرقل لقومه الى الاسلام وجواب النجاشي

نحن بكتابتنا فى السيرة المحمدية نرمى الى غرضين : (أولهما) أن نشرح حوادثها على ضوء ما اهتدت اليه العلوم النفسية والاجتماعية من المكتشفات التى تجليها فى مظهر يؤثر على العقلية العصرية أعظم تأثير ، فنجعل الأدلة على رسالة محمد صلى الله عليه وسلم فى مستوى البدهيات . (ثانيهما) أن نجرد من تلك السيرة كل ما أضيف اليها من ضروب المبالغات التى تضعف من تأثيرها على العقول ، وتكفى فى جملتها لإقناع الناهلين من حوض الثقافة الحديثة بوهن أصول الدين ، وأن الاسلام ليس من العزة والمناعة بحيث يرتد عنه طرف الناقد خاسئا وهو حسير .

موقف عظيم الخطر يتعرض فيه المؤلف لمصادمات من نواح شتى ، ولكن ما لابد منه لا يمكن النكوص عنه ، لا سيما والرغبة أصبحت عامة فى وجود مؤلف من هذا الطراز ، ليمكن اتقاء شرور الدعايات السيئة بالاعتماد عليه ، أو بالرجوع فى حل الشبهات اليه .

من أشد ما وقفنا عليه من أنواع الدعايات تأثيرا فى العقول ، ما قام به كاتبان من الفرنسيين هما (لوميريس) و (جاستون دوجاريك) من وضع كتاب فى السيرة المحمدية تحت عنوان حياة محمد La vie de Mahomet فى مجلدين ، ذكرا فى مقدمته أنهما سيوردان تاريخ النبى العربى مأخوذا من الكتب الاسلامية ، لا يزيدان على ما قالته حرفا . فجاء كتابا من أفعل ما يتخيله العقل صدا عن الاسلام ونبى الاسلام ، لكثرة ما اشتمل عليه من الخرافات ، وهو لا يزال ماثلا بين كتبى ، كلما وقعت عليه عينى انقبض صدرى .

هذه الاعتبارات كلها دفعتنى لوضع السيرة المحمدية على أساس متين تحت ضوء العلم والفلسفة ، حتى إذا تمت سعينا الى ترجمتها الى الفرنسية والانجليزية ، وعملنا على نشرها .

* * *

أسوق هذا الكلام لمناسبة ما ورد الىّ من حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الموقر الشيخ محمد عبد الله الجهنى ، وإنى أشكر لفضيلته حسن تقديره لما أكتبه ، وأتقبل نقده بالارتياح ، فما لا ينقد من الآراء الجريئة لا تظهر قيمته الفلسفية ، ورب نقد جرالى فوائد علمية جمة كانت لا تنكشف بدونه .

أخذ علىّ فضيلة الأستاذ أمورا :

(١) شكّى فيما لا يصح الشك فيه من صحيح البخارى .

(٢) ارتيابى فى سرعة تصديق هيرقل .

(٣) إنكارى انتظار النصارى لنبى بعد عيسى .

الشك فى إسلام هيرقل ومحاولته حمل قومه على الاسلام :

ليس كل ما ورد فى كتاب البخارى من آرائه الشخصية ، وتعليقاته ، يسرى عليه مايسرى على ما أورده من الأحاديث مسندا الى النبى صلى الله عليه وسلم . وقد سمح الأئمة السابقون لأنفسهم بنقد كل شىء فيه ، حتى الأحاديث ، فضعفوا مائة وعشرة منها .

وقد ظن بعض الناس أن الإمام البخارى روى ما قاله عن هيرقل عن الزهرى عن عبيد الله عن ابن عباس عن أبى سفيان بن حرب ؛ والواقع أنه روى خبر سؤال هيرقل لأبى سفيان بهذا الإسناد ، وقد شاركه فيه مسلم ، ولكن البخارى انفرد بروايته إسلام هيرقل ومحاولته حمل أمته على الاسلام ، عن الزهرى عن ابن الناطور ، وهو أحد أساقفة دمشق كما نبه على ذلك الامام ابن حجر العسقلانى فى المجلد الأول من كتابه فتح البارى صفحة (٣١) .

وبناء عليه يكون ما شككنا فيه خبرا زائدا على حديث أبى سفيان ، نقله الزهرى عن ابن الناطور . ولذلك لم يذكره مسلم عند ذكره حديث مقابلة أبى سفيان لهيرقل .

وبذلك أصبحنا فى حل من نقده ، لأن ابن الناطور ليس بثقة فى نظرنا ولا فى نظر غيرنا من المسلمين .

ونحن إنما تشددنا فى هذا الأمر نظرا لمكانة الدولة الرومانية الشرقية من الدول النصرانية ، ومطامح هيرقل من حماية المسيحية . فانه فى العصر الذى أرسل فيه النبى صلى الله عليه وسلم ، كانت الدولة الرومانية الغربية قد حطمتها غارات القبائل الهمجية ، وسقطت هيبتها الدولية ، وضعفت عن حماية نفسها ، فتحولت الأنظار عنها الى شقيقتها الدولة الرومانية الشرقية ، وعلق المسيحيون على وجودها حماية عقائدهم الدينية .

هذه الاعتبارات هى التى أوجبت علينا الشك فى رواية ابن الناطور ، وليس هو من رواة البخارى حتى يعتد بروايته ، وقد علمتَ أن هذه الرواية ترجع اليه وحده .

ارتيابى فى سرعة تصديق هيرقل :

لم ير فضيلة الأستاذ من حقى أن أرتاب فى سرعة تصديق أمبراطور الرومان ، معتمدا فى ذلك على الآية القرآنية التى قررت أن النصارى أقرب مودة من سواهم الى المسلمين ، وأن منهم من إذا سمعوا القرآن فاضت أعينهم من الدمع .

وإنى أرى أن هذه الآية الكريمة لا تدل إلا على شىء واحد ، وهو أن النصارى أقرب مودة الى المسلمين من سواهم ، لأن من أخلاقهم التواضع وعدم الاستكبار ، فهى تمدحهم بهذه الخلال ، ولا يعقل أن يُقرن هذا المدح بالذم بأن يتهموا بسرعة التصديق ، فانهذه صفة ذم ، وقد مدح الله المتثبتين المطالبين بالدليل ، ولم يمدح سريعى التصديق .

ولو استعنا بالتاريخ فى هذا الموطن رأينا أن النصارى كانوا أبعد تصديقا من جميع الأمم ، وقد وقفت دولهم للإسلام فى أول ظهوره وقفات ، لولا أن الله كتب له الغلب والانتشار لقضت عليه وليدا . وقد دخلت أمم برمتها فى الاسلام كالفرس والديلم والترك ، وجماعات غفيرة أخرى تمد بعشرات الملايين فى الهند والصين وغيرها ، إلا الأمم النصرانية فانها تمسكت بعقيدتها الى أبعد مدى .

وأما قوله تعالى : « وإذا سمعوا ما أنزل الى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق ، يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين » ، فهو قول صريح فى أن الذين فاضت أعينهم بالدمع كانوا قد آمنوا بالنبى صلى الله عليه وسلم من قبل ، وآمنوا بالقرآن ، فلا عجب أن ترق قلوبهم عند سماعه فيبكوا ، وليس هذا بعجيب من قوم تذوقوا طعم اليقين .

يريد فضيلة الأستاذ أن يتخذ من حال هذه الطائفة مثالا يطبقه على أفراد معينين ، وغير معينين من جميع الطبقات ، وأنا لا أحيله من التدليل إلا الى شيء واحد وهو الواقع المحسوس .

إنكارى انتظار النصارى رسولا بعد عيسى :

قلت : إن النصارى يعتقدون أن دينهم قد تم بتجسد الابن ، وأنهم ما كانوا ينتظرون رسولا يأتى بعده .

فلاحظ علىّ فضيلة الأستاذ ذلك وقال : « إن نبينا كان مبشرا به فى التوراة والانجيل ، وقد ذكر القرآن ذلك ، ولم يجرؤ واحد منهم على تكذيبه ، ولو لم يكن ذلك حقيقة لقامت قيامة اليهود والنصارى وملأوا الدنيا تكذيبا وتشنيعا على صاحب الرسالة صلى الله عليه وسلم » .

نقول : أما أن النبى صلى الله عليه وسلم قد بُشر به فى التوراة والإنجيل فصحيح ، ولكن ليس المعول على إيماننا نحن بذلك ، وإنما المعول على إيمان أصحاب تلك الكتب به ، وقد دل تاريخ الدعوة الاسلامية على أنهم لم يؤمنوا به ، وقد ملأوا الدنيا تكذيبا وتشنيعا ، بل عمدوا الى الحرب الضروس . ومن الذى يستطيع أن ينكر مالقيه الاسلام والمسلمون من عنت القبائل اليهودية فى بلاد العرب ؟ نعم لم يقع من النصارى هنالك شيء ، ولكن ليس لأنهم كانوا أقل من اليهود تكذيبا ، ولكن لأنهم كانوا فى بلاد العرب قليلين ، ولا تجمعهم جامعة قوية ، فجاءت حروبهم متأخرة ، أى على عهد أبى بكر ومن جاءوا بعده ، وكانت من أفظع ما رواه التاريخ هولا وشدة .

قلنا : إن المسيحيين لم يكونوا ينتظرون رسولا بعد عيسى ، حتى فى أقدم عهودهم ، وما استشهد به فضيلة الاستاذ من إنجيل يوحنا ، وعده علماؤنا تبشيرا بالنبى صلى الله عليه وسلم ، فانهم ينكرون أن المقصود به محمد ، ويقولون إن المقصود به روح القدس ، وهو الأقنوم الثالث من الأقانيم الثلاثة فى عقيدتهم ، وقد أجمعوا على ذلك من أول عهدهم بالنصرانية الى اليوم .

وإذا ساغ لنا أن نقول بأن اليهود كانوا يتوقعون ظهور نبي جديد ، فإنهم كانوا ينتظرون أن يكون اسرائيليا ، فان اليهودية مبنية على ما لأسرة اسرائيل من الامتيازات الروحية والعقلية ، كما ورد ذلك فى كتبهم ، لذلك لا تجد لهم دعاوة دينية فى الأرض . حتى أنه إذا أراد أحد الناس من الأجناس الأخرى أن يتهود ، وجب على القس اليهودى أن ينصحه بالعدول عن عزيمته ثلاث مرات ، بالتنويه له بصعوبة تكاليف اليهودية ، وتعذر قيامه بما تفرضه عليه منها . فان أصر على طلبه وجب عليه أن يلقنه الناحية الخلقية من اليهودية دون الناحية العبادية . فلما أرسل النبي صلى الله عليه وسلم من ولد إسماعيل كان ذلك كافيا فى نظرهم للتكذيب به .

والمعول فى موضوعنا على إيمانهم هم ، لا على إيماننا نحن ، فلو كانت البشارات فى كتبهم أصرح مما أورده الأستاذ ، ولم يفهموا هم منها ما نفهمه نحن ، كانت كأن لم تكن فى علاقتها بالموضوع الذى نحن بصدده .

أما ما قاله فضيلة الأستاذ عن إسلام النجاشى وصلاة النبي صلى الله عليه وسلم عليه بعد موته . فقد نص البخارى على أن النبي صلى على نجاشى مات مسلما ، ولم ينص على أنه هو الذى أرسل اليه كتاب الدعوة ؛ وجاء مسلم تلميذ البخارى فنص على أن النجاشى الذى صلى عليه النبي غير الذى أرسل اليه كتاب الدعوة ، ويبتنى على ذلك أن الجواب الذى شككنا فيه مختلق . وقد كان كلامى محصورا فى ذلك الكتاب وجوابه .

وهذا لا يمنع أن يكون سلف هذا النجاشى قد أسلم سرا ، وأرسل الى النبي صلى الله عليه وسلم يخبره بذلك خفية ، وكتم إسلامه عن قومه . لأن النجاشى لو استبدل دينا آخر بدينه ، وبلغ قومه خبره ، لكان هذا وحده يكفى فى أن يثوروا عليه ثورة عامة ، لأنهم من أشد الشعوب تمسكا بالمسيحية .

ومرادى من هذا كله تمحيص الحوادث التاريخية ، وتخليص السيرة النبوية من الأوهام التقليدية .

وإنى أختتم مقالى هذا بشكر فضيلة الأستاذ على ملاحظاته ، فان غرضى من نشر سيرة للنبي صلى الله عليه وسلم على مقتضى الدستور العلمى ، أن تناسب عقلية الشبيبة المتعلمة ، فيقبلوا على مطالعتها واجدين فيها من دقة التمحيص العلمى ، والنقد الفلسفى ، ما لا يدع لهم عذرا فى مقاطعتها ، وهى من أقوى أسباب الإيمان به ، والتسليم برسالته للناس كافة ؟

محمد فريد وجدى

فى اختلاط الجنسين

بالأمس القريب أرهف الدكتور منصور بك فهمى قلمه ، وهو من أخص رجال التربية الحديثة ، فى بيان أضرار الاختلاط ، وأهاب بأولياء الأمور أن يضعوا حدا لتلك الفوضى الجامحة .

واليوم ينصح لقومه أن يحترسوا من جوارف المؤثرات الاجتماعية ، ويحذرهم من ويلاتها ووخيم عواقبها ، كاشفا عن سيئ آثارها .

وخالق الكائنات الخبير بها وبأفضل السبل لسيرها يقول : « وقرن فى بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى » ، ثم يقول مخاطبا نبيه عليه السلام : « يأيها النبى قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ، ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين » ، ثم يقول : « ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن أو آبائهن ... الآية » .

والمشاهدة والوقائع تدل فى وضوح وعلانية أن أشد الأمور خطرا على الأسرة والبيت أولا ، وعلى الجماعة ثانيا ، هو الاختلاط .

وأنا تحت راية القرآن ، وفى دائرة التجارب والمشاهدات ، أقرر فى جرأة أن الاختلاط مفسدة لأخلاق الأمم ، مضيعة لآداب الآحاد ، وهو أفعل فى دهورة الكرامات ، وإضاعة شرف البيوتات من أية جريمة مما لا تسلم منها الجماعات .

هذا رأى المفكر الحكيم الدكتور منصور بك فهمى ، ورأى جميع النبغاء من أهل هذا الجيل ممن تقدموه وتلوه ، وبه نزل القرآن ، وشرحته السنة المحمدية الرشيدة ، وهو ما أقرته التجارب ، وقررته الوقائع الكثيرة . فما هو رأى الجهات الرسمية التى أقيمت للإشراف على أخلاق الأمة ؟ وما الذى اعتزمته حيال هذا التيار الجارف من الفوضى الخلقية ، وهذا الفساد الاجتماعى المنتشر ؟

حوادث خطيرة تحدث تباعا ، وتتناقلها الصحف ، ويقرأها الناس من جميع الطبقات ، وكانوا يقابلونها فى أول الأمر بكثير من الأسى والأسف ، ولكن تواترها قلل من الشعور بشناعتها ، حتى أصبحت اليوم من الحوادث العادية ؛ وفى ضعف الشعور بها الخطر كل الخطر ، فان أصحاب النفوس المنحطة يتشجعون بذلك ، ويرتكبون كل ما تسوقهم اليه الشهوات البهيمية من ضروب المنكرات غير مبالين بعقاب لأنه لا عقاب عليها ، ولا حاسبين للخزى أمام الناس حسابا لأنهم أصبحوا لا يستنكرونها من اعتيادهم سماع أمثالها ، بقدر ما يجب أن يكون استنكارهم لها .

فالذى أراه من العلاج لهـذه الاباحية الجائحة ، أن تمنع الجرائد من نشر حوادث هذه الفضائح ، وعدم كتابة الفصول الطويلة فى بسط حوادثها ، كما تفعل كثير من الجرائد التى تؤلف منها شبه أقصوصة تتحف بها قراءها .

إن ما أشير به هنا من عـدم نشر هذه الفضائح علاج بسيكولوجى مجرب ، فقد منعت بعض الأمم نشر أخبار الانتحار بعد ما علمت أن نشر أخبار المنتحرين يزيد عـدد مرتكبى هذه الرذيلة ، وأن عدم نشرها يقلل منه .

ثم أرى وجوب مراقبة أشرطة السينما ، فإن أكثر ما يعرض على الناس ضروب الفضائح باعتبارها من أعمال البطولة ؛ وعرضها على النظار على هـذا النحو يحمل نفوس الضعفاء على تقليدها ، وعلى القليل على عدم التحرج منها .

لقد تغيرت الأرض غير الأرض ، والناس غير الناس ، وقد أصبحنا فى انحرافات كان أصغرها يقيم القلوب ويقعدها ، فأصبحت من تكررها كأنها أمور عادية !

فـكم من لقيط ملقى فى الطريق ، وكم من جنين قذف به فى صناديق القاذورات ، وكم من فتاة انتحرت بالاحتراق أو تجرع السم الزعاف ، وكم من فتاة قتلها أهلها احتفاظا بكرامتهم وغسلا للعار الذى ألحقته بهم ، وكم من فتاة توارت عن الأنظار خجلا فـكان مآلها أن ذلت بعد عز ، وشقيت بعد سعادة ، فأصبحت نزيلة فى بيوت الناس تخدمهم ويحتقرونها ، بعد أن كانت النجمة الساطعة فى بيت أبويها ، والزهرة اليانعة فى أسرتها ، أو دهورها ضعف أخلاقها فأصبحت فى عداد البغيات والمتداعرات !

هـذا وذاك مما لا تصل إليه أيدى القضاء ؛ وبين ظهرانينا العـلة الحقيقية لـكل هذه النكبات ، ففى الشوارع والأندية والملاهى ودور الخيالة تذبح الفضيلة جهارا وبلا حياء .

هاهى ذى مدارس الرقص ، ومعاهد الخلاعة ، وحصون الإباحة ، مفتوحة الأبواب ، معدة للزائرين والزائرات .

وهاهى ذى الأخلاق المنحطة تجترف الفضيلة أمامها اجترافا ، وموجات الافساد تكتسح كل فضيلة اكتساحا ، وصروح البيوتات الشوامخ تتداعى وتتصدع الواحد تلو الآخر ، وكأن بالقوم عمى أو فى آذانهم وقرا ، فلا يحسون ولا يتألمون ولا يغضبون !

أصبحت الحياة غريبة فى وضعها ، غريبة فى صورها ، شاذة فى تكوينها ، فالبيت قد هجر إلا قليلا من الليل ، وملـكة الطهى قد ماتت فى أدمغة النساء والفتيات ، والقوامة على تربية الأنسال قد أصبحت فى المرتبة الأخيرة من الشئون .

نعم أصبحت الحياة غريبـة ، فالأكل فى المطعم ، والمجلس والسمر الخاص والعام لا يلذ

للناس إلا فى المقاهى والملاهى ، والاجتماع الذى لا بد منه لربط وشائج الأسرة قد فقد . وما البيت فى نظر أولئك إلا سجن مظلم فى النهار ، وكن غير مألوف لا يركن إليه إلا فى الهزيع الأخير من الليل وإن كانوا له كارهين .

فإذا ما بزغت الشمس رأيت النساء يسابقن الطيور فى الخروج الى الشوارع تاركات أولادهن فى البيت غير آبهات بما خلفن من حاجات تقتضى أن يكن هن المباشرات لها .

فبربك قل لى : أى حياة تلك التى نحياها ، وأى معيشة تلك التى نعيشها ؟ وهل تلك الحياة هى الحياة المستقرة التى نستطيع فى ظلها أن نربى نشأ صالحا وجيلا متينا ؟

وهل بهذا نستطيع أن نربى بنتا تكون بعدُ أمًّا تشرف على تنظيم بيت ، وتقويم أسرة ؟ إنى لفى شك من ذلك كبير .

أعتقد أن البيت فى طريق التهدم ، وبناء الأسرة فى سبيل التقوض ، والأخلاق تنحدر بسرعة الى درك الرذيلة .

فإن لم يكن علاج عاجل ، وتأديب حاسم ، وتقويم صارم ، عم البلاء ، وفدح الخطب ، واستعصى الداء . ومهما حاول المصلحون بعد ذلك من علاج فليسوا بمفلحين .

الحق أن لا شفاء لهـذا الداء ، داء الفوضى الخلقية الناشئة عن التبرج والاختلاط ، إلا فى طب السماء ، ولادواء له إلا من صيدلة الدين ، ولا يقتل جراثيم هـذا المرض العضال إلا مطهرات الوحى .

لست بهذه الدعوة جامدا أريد أن تكون المرأة متاعا فى البيت لا يجوز إخراجه ، وليس فى حاجة الى تنسم طلق الهواء . لا ، ولا أريد من الفتاة أن تظل فى عماية جامـدة لا تعرف ما يحيط بها من تطورات الزمن وتغيرات الأحوال .

إنما أقصـد أن تكون النساء كأمهاتهن السابقات اللواتى درسن العلوم ، وتحملن أمانة القوامة والوصاية والتربية .

أريد من الفتاة أن تكون كزميلاتها السوابق اللواتى ضربن المثل الأعلى فى النبل والحياء والمحافظة على الشرف والكرامة . أما أن يترك لها الزمام على الوضع الممقوت الذى نراه الآن ، فذلك مؤد لهدم كيان الأمة ، وذلك ما لا يرتضيه عاقل . ألا قد بلغت ، اللهم فاشهد ؟

مصطفى الصاوى
المدرس بمعهد القاهرة

تطور التصميم والزخرفة فى مساجد مصر

التصميم والزخرفة فى العصر الفاطمى(١)

— ١ —

سطر الفاطميون فى تاريخ مصر صفحات ذهبية تشع من بين سطورها آيات المجد والعظمة ، وارتفعوا بهذه البلاد الى درجة من التقدم المادى قلما ارتفعت إليها فى غابر تاريخها وحاضره ، وقد اكتملت فى عصرها شخصية الفن المصرى الإسلامى ، وتجلت براعة رجال الفن من المسلمين فى صور كثيرة تفرض الإعجاب على كل من يشاهدها . فلقد ترك لنا الفاطميون آثارا عدة تدل على عظم ثروتهم ، وتكشف عن مدى ما بلغوه من الخبرة الواسعة بطرق البناء والتصميم ، ومقدار ما ابتدعوه من الأوضاع الزخرفية والأساليب الفنية ، وتشهد بسمو الفن عند المسلمين ، ومقدرة رجالهم الفنيين ، وتحريهم الدقة والكمال فى أعمالهم . وما لنا نصوغ الألفاظ عقود مدح فى جمال آثارهم وهى على كثب منا ؟ فلنمض فى طريقنا قدما إليها لنستروح عبير العظمة منها ، ونستجلى رواء الفن فى زخارفها ، ونستذكر المجد الغابر بين ساحاتها .

ها نحن بين يدى أول أثر شيدوه : بين يدى الجامع الأزهر الشريف الذى ارتفع به ذكر مصر فى الخافقين عاليا . ترى أكان كذلك يوم أسسه جوهر قائد المعز لدين الله الخليفة الفاطمى عام ٣٥٩ من الهجرة ؟ إن المظاهر العمارية ، والكتب التاريخية تقول لنا فى وضوح وجلاء إن هذا الجامع المعظم قد أضيفت إليه زيادات ودخلت عليه تغييرات ، ولعبت به يد الإهمال تارة ويد التجديد أخرى حتى انتهى الى صورة مغايرة لما كان عليه يوم ولادته . ولكى نقف على تخطيطه القديم ، علينا أن نستبعد ما جد عليه أولا بأول حتى يخلص لنا المسجد الأصلى ، فنشهد فيه مدى التطور فى التصميم والزخرفة .

فلندخل الجامع من « باب المزينين » ، ولنغض الطرف عما نراه من المنشآت على اليسار وعلى اليمين لأنها من عصر متأخر عن العصر الذى نتحدث عنه ، ولنتقدم قليلا حتى نقف على عتبة الباب المواجه لنا ـ باب قايتباى ـ حتى نأخذ المكان بنظرة واحدة ، فإذا نحن أمام صورة سبق أن رأينا مثلها فى جامع ابن طولون ، وتخيلنا مثلها فى جامع عمرو : صحن مكشوف تحيط به من نواحيه الأربع أروقة مسقوفة ، وإذا استبعدنا البلاطة الأولى من هذه الأروقة المطلة على الصحن (لأنها متأخرة فى إنشائها عن الجامع الأصلى) وجدنا أن عدد البلاطات فى رواق

(١) بعد سقوط الدولة الطولونية حكمت مصر الدولة الأخشيدية ، وقد كانت مدة حكمها قصيرة ، ولم يصلنا من آثارها شىء .

القبلة خمس – كما فى مسجد ابن طولون – وفى كل من الرواقين الشرقى والغربى ثلاث ، أما الرواق البحرى فلا ندرى بالضبط عدد بلاطاته الأصلية .

فالتصميم إذن لم يتغير ، ولكن دخلت عليه عناصر جديدة نتبينها إذا ما اخترقنا الصحن الى رواق المحراب . وأول ما يسترعى النظر قبل دخول هذا الرواق وجود قبة رشيقة تعلو مدخله ، ترجع الى أواخر العصر الفاطمى ، وتزدان بزخارف جميلة وكتابات كوفية رشيقة كلتاهما محفورة على الجص . وإذا نحن تذكرنا طراز الكتابة الذى شاهدناه فى جامع ابن طولون ، وقارنا بينه وبين هذا الخط الذى نشهده فى هذه القبة ، رأينا بونا شاسعا بينهما ، ولمسنا تطورا عظيما فى رسم الحروف وتصويرها ، وأدركنا أن تلك الحروف القديمة التى تبدو بسيطة فى غلظة وثقل ، قد صارت معقدة فى خفة ورشاقة ، يشيع منظرها فى النفس غبطة وانشراحا . والواقع أنه ما تجلت عبقرية رجل الفن المسلم فى ناحية من نواحى الفن بقدر ما تجلت فى الخط العربى ؛ فعندما نضج فيه الذوق الفنى ، واكتملت لديه ملكة الإبداع ، أخرج لنا من الحروف العربية : من رءوسها وسيقانها ، وأقواسها ومداتها ، وخطوطها الرأسية وخطوطها الأفقية ، عناصر زخرفية فيها سحر ولها روعة ؛ واستهواه جمال هذا الفن الجديد ، فأخذ يدخل على صور الحروف بعض التعديل ، يصعد ببعضها فى غير حاجة الى صعود ، ويحذف من أجزائها ما يتنافر مع أصول الزخرفة من تناسق أو تقابل أو تناسب ، فجاءت كتابته جميلة حقا ، ولكنها تستعصى فى قراءتها على الكثيرين ؛ ولئن كانت تكلفنا – إن شئنا أن ندرك ما وراءها من المعانى – جهدا ليس بالقليل ، فإنها تعوضنا عن جهدنا هذا – بعد أن ينكشف لنا ما استغلق منها – بلذة فكرية لا يدرك كنهها إلا من كابد هذا الأمر . وأمامنا ما سطر داخل هذه القبة من النصوص ، فلنجرب حظنا فى قراءتها (١)

فى هذه القبة من الجهة القبلية نافذة من الجص تزدان بزجاج ملون ، هى الأولى من نوعها فى مساجد مصر . والآن فلندخل رواق المحراب :

(١) ابتداء من رأس العقد المحيط بالنافذة البحرية جهة اليسار نقرأ : بسم الله الرحمن الرحيم . إن المتقين فى مقام أمين . فى جنات وعيون . يلبسون من سندس وإستبرق متقابلين . كذلك وزوجناهم بحور عين . يدعون فيها بكل فاكهة آمنين . لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى ، ووقاهم عذاب الجحيم . فضلا من ربك ، ذلك هو الفوز العظيم . فإنما يسرناه بلسانك لعلهم يتذكرون . فارتقب إنهم مرتقبون (سورة الدخان الآيات ٥١ – ٥٩) . بسم الله الرحمن الرحيم . رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار . ليجزيهم الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله ، والله يرزق من يشاء بغير حساب (سورة النور ٣٧ و ٣٨) . وفى رقبة القبة فوق هذه العقود مباشرة نجد آية الكرسى بخط كوفى كبير .

إن الظاهرة الجديدة فى هذا الرواق التى لم نشهد مثلها فى جامع عمرو ومسجد ابن طولون ، هى ذلك المجاز المتسع الذى يتوسط الرواق ، والممتد من الصحن الى المحراب القديم مباشرة ، والذى يمتاز بعلو سقفه عن سقف الرواق نفسه ، وبإحاطة من اليمين ومن اليسار بسلسلتين من العقود بشكل منهماست طارات متصلة ببعضها ، وتسير من الشمال الى الجنوب ، بينما تسير باقى عقود هذا الرواق بل وعقود الأخرى فى موازاة حائط القبلة من الشرق الى الغرب . أما الأعمدة التى تتكئ عليها هذه العقود فمن الرخام ، وهى مختلفة الطرز والأشكال ، ويذكرنا منظرها بأعمدة جامع عمرو ، إذ أن كليهما مأخوذ من الكنائس القديمة . وينتهى هذا المجاز بقبة فوق المحراب القديم ، حديثة البناء ولكنها فى الغالب قد حلت محل قبة قديمة كانت فى هذا الموضع .

ولقد كان هذا الرواق يزدان بزخارف جصية جميلة لا تزال بقاياها تشاهد فى المجاز ، وفى الجدار الأيسر ، وفى بعض أجزاء الجدار الأيمن ، وفى امتداد جدار القبلة القديمة نفسه (بجوار باب رواق الشوام) الذى كان ينتهى عنده المسجد الأول (١) . وتذكرنا هذه النقوش بزخارف مسجد ابن طولون ، إذ هى قريبة منها فى روحها . والواقع أن شخصية الفن الفاطمى لم تكن قد نضجت بعد ، فليست الحدود التى تفصل العصور السياسية بعضها عن بعض هى بعينها الحدود التى تفصل العصور الفنية ، لأن التطور الفنى على عكس التطور السياسى بطئ جدا يحتاج الى وقت طويل لكى ينمو ويظهر .

على أننا لا ينبغى أن نمر هكذا سراعا على ذلك العنصر المعمارى الجديد الذى دخل على تصميم المساجد فى مصر ، والذى نراه لأول مرة فى الجامع الأزهر ، ونعنى به المجاز ، فهو جدير بأن نقف عنده قليلا مفكرين فى منشئه ومصدره . أما المنشأ ففى الكنائس المسيحية الشرقية (البازيليكا) (٢) وقد كانت هذه الكنائس مألوفة لدى المسلمين : كثيرا ما صلوا بين جدرانها ، وكثيرا ما اقتسموا الواحدة منها مع المسيحيين فجعلوا من نصفها مسجدا يصلون فيه وأبقوا النصف الآخر كنيسة كما كان للمسيحيين يتعبدون فيها ، وكثيرا ما حولوا الكنيسة بأكملها الى مسجد .

---

١ — الجزء المرتفع الذى يقع خلف المحراب القديم أضيف الى المسجد الأول فى أيام عبد الرحمن كتخدا سنة ١١٦٧ هـ (١٧٥٣ م) .

٢ — البازيليكا Basilica معناها البيت الملكى . وكانت فى العصر الرومانى مكانا لانجاز الأعمال التجارية والقضائية . وقد اتخذها المسيحيون نموذجا لكنائسهم ، وهى تتكون عادة من مستطيل تقسمه أربعة صفوف من الأعمدة الى مجاز واسع فى الوسط ، وأجنحة جانبية أقل سعة وأوطأ سقفا من المجاز .

وأما المصدر فالمسجد الأموى بدمشق ، ذلك المسجد الذى لعب فى تصميم المساجد دورا هاما لم يلعبه مسجد آخر . ولعل خير ما نسوقه للدلالة على أهميته وعلو مكانته عند المسلمين هو ما ذكره الجغرافى المشهور (المقدسى) فى كتابه (أحسن التقاسيم) إذ يقول : « قلت يوما لعمى : يا عم ، لم يحسن الوليد حيث أنفق أموال المسلمين على جامع دمشق ، ولو صرف فى عمارة الطرق والمصانع ورم الحصون لكان أصوب وأفضل . قال : لا تعقل يا بنى ، إن الوليد وفق ، وكشف له عن أمر جليل ، وذلك أنه رأى الشام بلد النصارى ، ورأى لهم فيها بيعا حسنة قد افتن فى زخارفها ، وانتشر ذكرها كالقمامة (١) وبيعة لد ، والرها ، فاتخذ للمسلمين مسجدا أشغلهم به عنهن ، وجعله أحد عجائب الدنيا » . فليس بدعا إذن أن يتخذ هذا الجامع العظيم إماما فى تصميم المساجد ، وأن ينقل عنه الكثيرون من عناصره . وهكذا نرى المجاز الذى ظهر لأول مرة فى مسجد دمشق قد انتقل الى مساجد تونس ، ونقله الفاطميون معهم الى مصر .

ولكن الجامع الأزهر ، لا يستطيع وحده أن يعطينا صورة واضحة عن تصميم المساجد فى العصر الفاطمى بسبب ما دخل عليه من التعديل . فنحن لا ندرى أكانت له مآذن يوم أنشىء أم لا ، وإن كانت فأين موقعها ؟ ولا نعرف أكانت واجهته كواجهة المسجد الطولونى مثلا أم كانت له واجهة عظيمة ، وإن كانت فما شكلها ؟ لذلك سنتركه الى جامع فاطمى آخر قد احتفظ لنا بالكثير من مميزات المساجد الفاطمية هو جامع الحاكم بأمر الله الذى سيكون موضوع بحثنا فى العدد المقبل ، إن شاء الله ؟ يتبع

(١) هى كنيسة القيامة فى بيت المقدس التى يحج إليها المسيحيون .

محمد عبد العزيز مرزوق
الأمين المساعد بدار الآثار العربية

كلمات نابغة

قال أبو عمرو بن العلاء : خذ الخير من أهله ، ودع الشر لأهله .

وقال عمر بن الخطاب : بع الحيوان أحسن ما يكون فى عينك .

وقال حكيم : إحسان المسىء أن يكف عنك أذاه ، وإساءة المحسن أن يمنعك جدواه .

وتكلم ربيعة الرأى يوما فأكثر والى جنبه أعرابى ، فالتفت اليه ربيعة وقال له : ما تعدون البلاغة يا أعرابى ؟

قال : قلة الكلام وإيجاز الصواب ؟

فقال له ربيعة : فما تعدون العى ؟

قال الأعرابى : ما كنت فيه منذ اليوم !

ليلة الاسراء

احتفلت الأمة المصرية بليلة الاسراء فى مساء يوم الأربعاء السادس والعشرين من شهر رجب ، واحتفل به رسميا فى مسجد محمد على بالقلعة ، فتفضل حضرة صاحب الجلالة الملك المعظم بشهود هذا الاحتفال فى عدد جم من رجال الدولة يتقدمهم حضرة صاحب الدولة رئيس مجلس الوزراء ، وحضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الامام الشيخ محمد مصطفى المراغى ، وقام بقراءة حديث الإسراء والمعراج فضيلة الأستاذ الجليل الشيخ عبد الله عفيفى ، إمام حضرة صاحب الجلالة ، وكان بين الحاضرين من رجال السلك السياسى دولة سفير إيران .

واحتفلت بهذه الليلة المباركة مشيخة الطرق الصوفية بدار السادة البكرية بالخرنفش ، فأم تلك الدار عدد كبير من العلماء وشيوخ الصوفية وكبار الموظفين والأعيان .

وكان قوام الاحتفال قراءة القرآن الكريم ، وإطعام الفقراء .

واحتفل سلاح الاشارة الملكى بهذه الذكرى أيضا بحضور حضرة صاحب العزة الميرالاى أحمد الصاوى بك ، قائد ذلك السلاح ، وحضرة البكباشى ابراهيم البرديني ، وجميع ضباط السلاح وجنوده .

وألقى حضرة الاستاذ محمد الدردیری محاضرة قيمة فى ذكرى الإسراء فى الساعة الثامنة من مساء ذلك اليوم بدار الاتحاد ، وقد شهد هذه المحاضرة جم غفير من الأدباء والعلماء ورجال الدين وغيرهم .

واحتفل بهذه الليلة فى جميع البلاد المصرية فى أشهر مساجدها تحت رئاسة مديرى المديريات وكبار موظفيها . فرتل الكتاب الكريم مشهورو القراء ، وألقيت الخطب والمحاضرات فى النوادى والجمعيات ، ووزعت الصدقات على الفقراء والمعوزين .

وقد احتفل بها أيضا جريا على العادة السنوية جميع شعوب المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها ، وأم مساجدهم عشرات الملايين منهم على اختلاف أجناسهم وألوانهم ولغاتهم .

لا جرم أن لهذه الاحتفالات فوائد أدبية لا تقدر ، فانها تذكر المسلمين بماضيهم المجيد ، وتعيد الى أذهانهم أيام رسولهم الكريم ، وأدوار حياة الدعوة الاسلامية ، وفى كل هذه الذكريات إحياء للشعور ، وتنبيه للعاطفة الدينية ، وتحضيض عملى على التعاون على البر والتقوى .

وقد رأى بعض المتشددين أن هذه الاحتفالات من البدع المستحدثة ، ولكنها فى نظرنا بدعة حسنة إذا خلت من الغلو فى القول ، والإغراق فى الوصف ، والاعتماد على الأقوال الضعيفة فى إيراد التاريخ ، والاسلام ثرى بحقائقه وبيناته لا يحتاج الى الاستكثار من الموضوعات عليه .

من وحى الشريعة الخالدة

سبق بنا فى بحوث متلاحقة أن كشفنا بقدَر عن مبلغ ما يداخل المجتمع من آفات أخلاقية، وما نكبت به البشرية فى أولى مراحلها من فرط تلك المداخلة، وكيف أن رواد الأخلاق صدوا عن مناهلها المختلفة بما أشكل على الناس فهمه فى المنتصبين حماة عن الأخلاق الفاضلة من جهة، وذيادا عن مبادئ الدين القويم من جهة أخرى. فقد نبتت فى بعض الرءوس نابتة حاولت أن تفصل بين الأخلاق المثالية العليا وبين مبادىء هذا الدين. وتعتاد هذا الفريق أن الخلق القويم فى ظاهرات معينة قد يبدو مناقضا للدين، وهو فى واقع أمره خير محض وسعادة محضة. والجدل مع هذا الفريق قديم الاتصال، وخير لخصومهم أن يقفوا بهم عند مفترق هذا الطريق، وأن يدعوهم وشأنهم، ما دامت العبرة لا تفل من غرب عصبيتهم، ولا تنهض بهم الى سواء السبيل، نخير للبشرية أن تظل قائمة على تراثها الاول عن هدى كتاب الله وهدى الرسول الأعظم وأخلاق الصدر الاول، وأن يعنى علماء الأخلاق بتجنيبها الآفات التى تأخذ عليها غاياتها، وتقف بها دون نيل مقاصدها.

فالبخل وسوء الخلق مثلا آفة من الآفات الأخلاقية التى لا سلامة منها إلا بمناجزتها ومناهضتها فى عنف وقوة. والبخل معناه استكثار البخيل فيض الله على عباده ومدده على أوليائه، وليس البخيل من بخل بالمال لحسب، بل البخيل من بخل بجاهه عن طلابه والمفتقرين اليه، إما لأنه يحاول أن يحتجن الخير كله فى يده وفى يد ذوى قرباه، فيرى أن امتداد جاهه وراء ذلك المحيط تفويت لخير كثير عليه أو على ذوى قرباه، وفى ذلك بلاء عليه مبين، وإما لأنه أخذ نفسه بالكف عن استثمار جاهه فلا تنفرج شفتاه عن قالة يفرج بها كربة مكروب، أو يدفع بها غصب مغصوب، وإما هما معا. ومرد ذلك كله فى هذا المخلوق العجيب الى شحه وأفن رأيه.

قال العلامة ابن حزم فى كتابه الملل والنحل والأهواء: «ليس من الضرورى أن يدعى الغنى الذى لا يؤدى حق الله عليه فى الناس بخيلا وحده، بل هناك صنف هو شر من البخيل بالمال، وهو الذى يستطيع أن يدفع الأذى ولا يفعل، وأن يجلب الخير ولا يفعل، وأن يهدم صروح الظلم فى الظالمين ولا يفعل، وأن ينصر من نصره الله ولا يفعل، وأن يرسل كلمة الخير يصيب بها قلوب ذوى السلطان فتنطلق أيديهم بالأعطية وألسنتهم بالدعوة الى الاستزادة منها بين أنصارها ولا يفعل». ومن هذه الناحية كان خطر البخيل من هذا النوع على البشرية أشد من الوباء وأفتك من أصفر الهواء.

قد يكون لبخيل المال تعلات فى الإمساك يتشبه عن المساهمة به بين أبناء جنسه ، إما لأن ذلك كان موروثا فهو داء قد أعضل ومرض قد أشكل ، وإما لأن بخيل المال قد جمعه من وسائل مقيتة وقد كان سليبه وطريده ، وإما لمرض نفسانى انفعلت به نفسه وطاب له إحساسه .

وما من شك فى أن الأصل الأول لأنواع البخل مجتمعة هو البخل بالمال ، فالبخيل بالمال فى واقع أمره مستكثر فضل يده على المحتاجين اليه ، وقد كان خليقا أن يكون فى متناول ألسنتهم ومهب عواصفهم ، لأن البخل فيه لا يعدو أن يكون منابذة للإيثار ، ومجاهدة لتمهد جماعة من خلق الله بفيض الله وما أفاء به عليه من مال يوطد به فى الناس ذكراه ويدفع عنه بلواه ، قال جل ثناؤه : « ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون » . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يدخل الجنة خب ولا منان ولا بخيل » . وقال صلى الله عليه وسلم : « خصلتان لا تجتمعان فى مؤمن : البخل وسوء الخلق » .

ولم تخل أمم الارض بين مسيحيها ومسلمها ويهوديها ووثنيها من هداة يدعون الى البر بالإنسانية والحدب عليها ، ويقيمون للفضيلة صروحا شامخة البنيان وطيدة الأركان ، حتى تتعاون البشرية فى بناء صرح هـذا المجتمع من جهة ، وحتى تطفأ جذوة الحاقدين على كنـاز المـال من جهة أخرى .

لكن يبقى بعـد ذلك أن صنفا من بخلاء المـال قد ألانوا جانبهم للناس ، وخفضوا لهم أجنحتهم وأعسلوا لهم فى الخطاب ، وهـذا بدهى الظهور فى جانب غير قليل من الخلق ، لأن شح النفوس أعيا الأدواء وأعصى العلل والأهواء ، فهو يحاول أن يستر علته عن الناس بما يظهر من مداورة والتواء ، فإذا جد الجـد وطالبه الواجب بمساهمة فى مبذول مال وإصلاح حال ، رأيته يفر أمام العيون فرار الإبل الى أعطانها ، والطيور الحائرة الى أعشاشها ، وليس ذلك إلا لأن البخل داء دوى كشف عن نفس معتلة وقلب سقيم . فهل حانت الساعة التى تتلاقى فيها أطباء البشرية بمرضاها ؟ وهـل آن أن تنفرج لمة الظلام عن جبين الصباح ؟ ذلك علمه الى علام الغيوب ؟

عباس طه

(تنبيه)

فاتنا ، ونحن نضع تعليقات على ما نقلناه من رسالة التوحيد للاستاذ المرحوم الشيخ محمد عبده ، أن ننبه أن هذه التعليقات لنا لا له .

* * *

وقد جاء فى السطر الرابع من الصفحة (٣٨٩) من العدد السابق قولنا (فى السنة السادسة من النبوة) ، وصحتها (من الهجرة) .

They do not teach that, because the deepening anxiety of Jesus, in alliance with a fear of treacherous betrayal on the part of some of his disciples, led to his sudden and skilfully planned disappearance; we should believe that he soared upwards to heaven. Their accounts of the incident of the crucifixion do not show that God saved Jesus from the cursed death on the cross. The plain and useful teachings of Jesus, as pronounced in the Gospels, however make the belief in the atoning and propitiating powers of the crucifixion unnecessary. His disciples also betray total ignorance of such a dogma as the vicarious atonement. Jesus himself believed in one God, worshipped Him, and prayed to Him, and laid all possible stress on good living and cherishing love for one's neighbour.

This brings the treatment to a close, with my sincerest hopes that it will be of some interest and benefit to God's people.

THE KORAN

As to the Koran, it consists exclusively of the revelation or commands which the Prophet professsd, to have received from time to time, as a message direct from God; and which, under divine direction, the Prophet delivered to those about him.

Every syllable of the Koran is of divine origin, eternal and 'uncreated' as the Deity Himself. It is one of the Mohammadan arguments against the Jewish and Christian Scriptures, that they are not exclusively oracles professing to proceed from the mouth of God.

The Prophet himself neither read nor wrote. His being an illiterate man, enhances the marvel of his revelation [1]. 'Learning' says the Rev. Margoliouth, 'he had none, or next to none [2].'

At the moment of inspiration or shortly after, each passage was recited by the Prophet in the presence of friends or followers, and was generally committed to writing by someone amongst them, at the time or afterwards, upon palm-leaves, leather, stones, or such other rude materia as conveniently came to hand. These divine messages continued throughout the twenty-three years of his prophetic life, so that the last portion was not received till near the time of his death.

---

(1) Sir. W. Muir. Life of Mohammad.

(2) The Rev. Margoliouth's introduction to Rodwell's translation of the Koran.

treatise, with the object of making the laity and non-Christians in general acquainted with it. In doing so, I have purposely refrained from quoting the opinions expressed in the learned commentaries of the nonconformists, and in the books issued on the subject by the Rational Press. I have, on the contrary, restricted the treatment to the views expounded by the Clergy of the Church of England, in the main, and to the views of those who are rather conservative. I have also deliberately overlooked the question, whether we can ascribe with certainty the authorship of the Gospels to the Evangelists, whose names they bear now. All the commentaries are agreed upon the fact, that the original copies of the Gospel, were without indication as to the authors' names. It was guessed, later, who were the most probable writers of them. The probable conjecture has not yet reached certainty. The authenticity of the names, to which, the Gospels are attributed, is open to doubt, as can be seen by referring to any commentray."

What, we have learnt, with respect to the origin of the Christian Gospels, and the creed preached therein, can be recapitulated in a few words. Mark was the first Gospel, and not Matthew, as is generally indicated by the present arrangement of the four books. Mark, who was a convert and interpreter of St.Peter, penned at the instance of 'his hearers', what St. Peter had adopted and preached to his Roman audiences. Mark has been incorporated into Matthew and Luke. But Matthew has represented the words and works of Jesus as fulfilling the prophecies of the Old Testament. No less than sixty-five references have been made to Old Testament texts, to establish that the advent of the Messiah was in strict accordance with the Jewish ideals. This conception and purpose pervade the whole of Matthew, and distinguish it from the other three. Luke represents St. Paul's views, which are in conflict with St.Peter's. Thus we have in Luke an altogether different point of view. It opposes Matthew and Mark most boldly, and places its literal and Catholic description of Christianity in a striking contrast to Matthew and Mark, who confine God's blessings and ministrations to the elect alone. John strikes an entirely different note. It offers, to interpret Christianity for us. We may respect his opinion, as an individual one, and as different from the other three ; but we cannot be assured, that his vague and mythical representation of Christianity is identical with the definite and plain teachings of the holy prophet Jesus. In a word, the Gospels are as divergent, in expressing the Christian doctrines, as their versions are discrepant, in the reproduction of the words and works of Jesus. They have not been safeguarded against mistakes and interpolations. On the contrary, they are replete with extraneous matter. Sometimes glosses and editorial notes have been absorbed in the body of the book, and sometimes irrelevant additions have been made. Matthew and Luke have either toned down or omitted what they deemed objectionable in Mark.

the last twelve verses are not by St. Mark." It further supplies the following information on the subject : "When at the close of the apostolic age, an attempt was made (probably in Rome) to collect the authentic memorials of the Apostles and their companions, a copy of the neglected second Gospel was not easily found. *The one that was actually discovered, and was used to multiply copies, had lost its last leaf, and so a fitting termination (the present appendix) was added by another hand.*"

The unanimous verdict given in the New Testaments of Dr. Weymouth, Dr. Moffat, Ferrar Fenton, and in the Twentieth Century New Testament, is that Mark xvi-9-20, is an addition.

(D) Luke xxiv. 51 is another interpolation, as is conceded on all hands. It elicits the following comment from the Rev. Dummelow : "A few ancient authorities omit these words. If they are omitted, *it is possible to regard this event, not* as the ascension, but as a miraculous disappearance of Jesus at the end of the interview begun in verse 36."

Peake's Commentary makes similar remarks ; "The words 'and was carried up into heaven' are omitted in some of the best MSS. . and have probably crept in from Acts. i. 9 f."

The Twentieth Century New Testament and Dr Moffat's "New Testament" mark it as an interpolation."

Ascension.

Our co religionist, Maulvi Sadr-ud-Din, B.A., from whose interesting essay, "Are the Gospels inspired[1]." I have chiefly reproduced the above chapter, makes the following conclusion to his work ;

"If according to Christ and Mohammed (peace be upon them and all the other prophets,) the essence of religion lies in our perfect love of God, which can only be manifested in our willing obedience to His Divine will, we must be assured, as rational beings, of the genuineness and credibility of God's message, as much as of the soundness of the truth, that it reveals. It is this natural craving, that has led to what is known as the higher criticism of the Bible. A similar test has been applied to the Holy Koran as well, to which reference has been made previously. The result of the higher criticism of the four Gospels has partially been presented in this

(1) For a fuller treatment of the subject of the higher criticism of the New Testament see a very interesting treatise entitled 'Are the Gospels inspired ?' by Maulvi Sadar-nd-Din, B.A., from whose work the foregoing passage has been chiefly reproduced.

being a difficulty to faith." Peake's Commentary offers the following note on it :

"Mark xiii. 32 — This is one of 'Schmiedel's pillar-passages.' A passage admitting a limit to Christ ; knowledge must be trustworthy history, according to Schmiedel. Certainly later commentators found the verse difficult."

"My God, my God, why hast Thou forsaken me ?" (Mark xv. 34) These words have been copied by Matthew only. They picture the inborn weakness of Jesus. This expression of his human nature was unworthy of record, in the opinion of Luke and John.

Interpolations.

Of many interpolations, mention will be made here of a few only :

(A) John vii. 53 and viii. 1-11, that is, the last verse of the seventh chapter, with its continuation in the first eleven verses of the eighth chapter, which relate the story of an adultress, is an interpolation. This is admitted universally. The Rev. Dummelow's Commentary has the following observations on it : "The woman taken in adultery.—All modern critics agree, that this section (vii. 53-viii. 1-11) is no original part of the fourth Gospel. It is not in the author's style ; it breaks the sequence of our Lord's discourses, and is omitted by most of the ancient authorities."

Peake's Commentary comments on the story at the end of John vii. 53-viii-1-11, *Jesus, and the woman accused of sin :* "The well known story of the woman taken in adultery has no claim to be regarded as part of the original text of this... It is supported by no early Patristic evidence. The evidence proves it to be an interpolation of a 'western' character."

Dr. Weymouth's 'New Testament in modern English' marks the section as an interpolation. 'The Twentieth Century New Testament' has excised it, and placed it in such a place as indicates clearly, that it has no connection with John. 'The Complete Bible in Modern English' writes in a footnote : "The narrative of the sinful woman (chap. vii. 53 to viii-1-11) is rejected by the most competent authorities as a spurious interpolation."

(B) John xxi :—In the opinion of the Rev. Dummelow, the last two verses at least, 24 and 25—are really doubtful, and they "may have been added by the Ephesian elders, who first put the Gospel in circulation, after the death of the Apostle, and who wished to testify to its genuineness and trustworthiness."

(C) Mark xvi. 9-20 is another interpolation. Dummelow's Commentary observes that **"Internal evidence points definitely to the conclusion, that**

Now, these quotations point very clearly to the fact, that there is a general agreement, as to John having played the role of an interpreter or a commentator of the three other Gospels. There is not an allusion or a reference, made to John having received a revelation from Heaven, or having been inspired to furnish the world with an explanation of the doctrines of Christ. We learn on the other hand, that, while the authors of the three other Gospels compiled the incidents of the life of Jesus, John gave a mystical meaning to them. He himself does not lay claim to revelation, or to consequent perfection. He has, on the contrary, confessed the imperfection of his attempts, to depict the incidents of the life of Jesus. Likewise he admits, that he is but a recorder of incidents or signs. "There were also a great number of signs which Jesus performed in the presence of the disciples, which are not recorded in this book; but these have been recorded, in order that you may believe, that he is the Christ, the son of God, and that, through believing, you may have Life through his name [1]." This text, which reveals the object of the fourth Gospel, announces that this is a partial record of some of those signs which Jesus performed before his disciples. To record events or signs which are known to many, or all, of the disciples and others, does not require the aid of revelation which supplies information which is not already in the possession of human beings.

Some Important Discrepancies.

Jesus said to them (who took offence, at him and who were not prepared to recognise his claims simply because he was a carpenter's son and had other humble ties): "A *prophet* is not without honour, but in his own country, and among his own kin, and in his own house" (Mark.) This statement was curtailed by Matthew, and still more by John. Luke ignored it altogether.

"But of that day and that hour knoweth no man, no, not the angels which are in heaven, neither the Son, but the Father" (Mark xiii, 32.) This text embodies a confession by Jesus, eloquent of his limited knowledge and avowed ignorance; while Luke and John, however make no mention of that humiliating reference.

The Rev. Dummelow's Commentary makes the following remark on "Neither the Son": "This is the true reading not only here (in Mark) but in Matthew xxiv, 36, where it has been ***altered*** in many MSS., probably as

(1) John xx, 30.

in character is no less, than the difference in scene. Further, *the synoptists do not* claim to be eyewitnesses of our Lord's work ; the first three Gospels are usually called the synoptic Gospels... It is obvious, that not only all three synoptic Gospels differ from John, but they differ *widely* from each other. The account of the birth and infancy of Christ in Matthew differs widely from that in Luke. The incidents of the temptation of our Lord are recorded in a different order in Matthew and Luke, and the temptation is recorded without these incidents in Mark. All three Gospels give a slightly different account of the inscription on the cross, and the words spoken by the centurion at the death of Jesus, vary in Luke from the words in Matthew and Mark. Also the language differs and differs in a very singular manner.

From the above quotations it is very clear, that the material for Mark's Gospel was supplied by St.Peter's preaching, and that Mark was freely drawn upon by Matthew and Luke ; which establishes the fact, that the synoptic Gospels are no revelations at all, but are purely and simply human compilations. It remains to deal with St. John's Gospel.

The Twentieth Century New Testament makes the following observation on John :

"The writer apparently proposed to himself to illustrate the spirit of the 'Gospel of Love' by such incidents in the life of Jesus, as best suited his purpose. There is no attempt at a regular connected narrative ; and the writer allows himself such freedom, in commenting upon the teaching of Jesus, that it is not always easy to tell where that teaching ends and the writer's comments begin. It is to the great struggle between Light and Darkness, Death and Life,—words much in use and much debated in the current philosophy of Ephesus,—that the writer devotes his attention, rather than to the external incidents of a story which has already been told, and which is plainly viewed by him from a greater distance of time, than is the case with the compilers of the three other Gospels."

Another eminent authority, namely Dr. Weymouth, in his Introduction to John, observes :

"It must be owned that, although the fourth Gospel makes no assertion which contradicts the character of Teacher and Reformer attributed to Him by the synoptists, it presents to us a personage so enwrapped in mystery and dignity, as altogether to transcend ordinary human nature. This transcendent personality is, indeed, the avowed centre of the whole record, and his portrayal is its avowed purpose[1]."

---

(1) Dr. Weymouth's Introduction to St. John's Gospel.

In the opinion of the best English scholars of the New Testament, the Gospels are not to be looked upon as revealed books, the sole source of which should have been God and not man. But they are to be regarded, on the other hand, as inadequate attempts, made by pious but not talented followers of Christ, at the description of his life. It is a great pity, that the world never availed itself of the collection of those life inspiring words that were uttered by the Holy Prophet of Nazareth. However, piety and veneration, for a long time, assured the credulity of the early Christians, that the Gospels revealed the Word of God, and in consequence were infallible. There was a time, when every article of it was firmly and reverently believed to have directly proceeded from God [1]. In short, what had been written by man, passed for the word of God. This is clear to those clergy who have undergone university training. But the pity of it is, that they have not the moral courage to enlighten their congregation on the subject. It would only seem, that pious anxiety dictates, that a character of infallibility should still be given to what has been written by human hands, and that crude attempts at the biography of the Holy Prophet of Nazareth, should continue to be believed to have been revealed by God Himself.

Anyhow, what scholarship and research have now brought to light, was revealed over thirteen centuries ago in the Koran :

"Do they not know, that God knows, what they keep secret, and what they make known ; and there are among them ignorant, who know not the Book, but only idle stories, and they do but conjecture ; woe, then, to those who write the book with their own hands, and then say. This is from God, so that they may obtain therewith a small gain ; therefore, woe to them, for what their hands have written, and woe to them, for what they have earned [2]."

Dr. Murray's illustrated "Bible Dictionary" which is a valuable commentary, enlightens us thus :

Gospels :—The first point which attracts our notice in reading the Gospels is, that the first three Gospels are distinct from the fourth. The first three Gospels confine themselves almost exclusively to the events which took place in Galilee, until Christ's last journey to Jerusalem, If we had three Gospels alone, we could not definitely say, that our Lord went to Jerusalem during his ministry, until he went there to die. The difference

(1) Dr. Ph. Schaff's Companion to the Greek Testaments and the English version pp. 88 & 89.

(2) Translation of the Holy Koran II. 72: 73 & 74.

human hands and brains only as a man may use a typewriter... Their inspiration did not involve a suspension of thier natural faculties, nor abolish the differences of training and character; it did not even make them perfectly free from earthly passion. Therefore, we find that their knowledge sometimes is no higher than their contemporaries, and their indignation against oppression and wrongdoing sometimes breaks out into desire of revenge. It surprises us in the Bible, because of our false preconception; because of our false theory of Verbal Inspiration."

The same Commentary further throws light upon the insufficieney and incompleteness of these sacred records, and thus precludes any chance of their claiming divine origin. "To-day we realise, that the life of Jesus can never be written. The material is wanting. Neither in quality, nor in extent, do the Gospels satisfy the requirements of a modern biography At best, they offer us certain memorabilia of the public ministry of Jesus, hardly adequate to construct the story of the year or years, during which he evangelised his people, and barely sufficing to mirror the chief features of his message. Where the modern mind is most curious. the Gospels seem to be least communicative. Men would fain trace the development of innermost convictions which condition his activity as a prophet. But the facts that the Gospels tell us little or nothing of the early life of Jesus, and that almost every story consists of a simple record of outward act and utterance, with few hints as to inward feeling or historical setting, seem at first sight to defeat the hopes of analysing motive, and tracing growth."

3. The four Gospels.

Dealing with the sources of the four Gospels of the Christian faith, the Encyclopædia Biblica comments as follows :

"These documents are of varying value from a historical point of view. Critical opinion is much divided as to the fourth, that which bears the name of John, the judgment of many critics being, that it is the *least trustworthy as a source, whether for words or for the acts of Jesus.* By comparison, the first three, from their resemblances called synoptical, are regarded by many as possessing a considerable measure of historical worth, but even these, from a critical point of view, are not of equal value, nor do the contents of any of them possess a uniform degree of historical probability. They present to the critic a curious, interesting, and perplexing problem, still far from final solution. By their resemblances and differences, agreements and disagreements, they raise many questions as to origin, relative dates, and literary connections, which have called forth a multitude of conflicting hypotheses and a most extensive critical literature."

The quotations cited above clearly buttress the Islamic belief, that the Christian gospels are but human attempts to draw up accounts of the life of Jesus, and as such are neither complete nor satisfactory. Revelation alone can make a recipient immune from error ; for it suspends, for the time being, all other mental activity of the person, upon whom the Word of God descends. His Word and Will were revealed to holy prophets, like Abraham, Moses, Jesus and Mohammad. But the followers of Jesus were animated, or inspired, to compile what was already known to them. They had but to collect, sift and arrange the material which was in the possession of the people. As such the works of the Apostles are necessarily characterised by mortal shortcomings. Even the devout Christian scholar admits it, and is ready to bear testimony to the fact, that the record of the gospels is not altogether complete and reliable. We cannot do better than quote some of the most scholarly and popularly admitted opinions which carry weight and conviction in this connection.

The Rev. Dummelow, M.A., expresses his opinion as follows :

"Speaking broadly, the Christians mean by their inspiration an impulse from God, causing, certain persons to write, and directing them how to write, for the edification of others. Though it is closely connected with *revelation*, it is not identical with it. By *revelation*, God makes known to a soul truths which were unknown to it before But it is not at all necessary, that an inspired writer should receive any new truths by way of revelation. Thus, St. Mark was inspired to write his Gospel, but he was inspired *to write down truths* which were already familiar to him and to others through the instruction given by St. Peter.[1]"

2. The Gospel of St. Matthew and that of St. Mark.

The foregoing also applies to both St. Matthew's and St. Mark's Gospels. "St. Mark is the oldest of the Synoptists, and has been used by St. Matthew and St. Luke, who have incorporated the bulk of his Gospel into their own with comparatively few alterations [2]."

It is thus plain, that Christian scholars of sacred literature do not claim divine origin for Christian Gospels. They, on the other hand, admit that the said books were compiled by mere men who were by no means experts. They were consequently liable to mistakes. I quote the Rev. Dummelow once more on the point : "We must not regard the Bible as an absolutely perfect book, in which God is Himself the author, using

---

(1) The Rev. Dummelow's Commentary, p. 71.

(2) Ibid p. 133.

may be, but St. Luke dedicates his books to the "most excellent Theophilus".

The Encyclopædia Biblica throws further light on this dedication : "The dedication of Luke (i. 1-4) shows, that we have passed into a new literary province. The Muratorian fragment calls attention to the fact, that the author writes *in his own name*, a novelty among Evangelists. He also dedicates his work to someone who, if not an imaginary 'God beloved', would appear to be a patron, a man of rank. The apostles—the (I-2) 'eyewitnesses and ministers of the word'—appear to have delivered their testimony by oral tradition, and to have passed away. To supply their places, (I-i) 'many' had attempted to draw up a formal narrative concerning the matters fully established in the Church. These writers had clearly not been eyewitnesses, nor were they, in Luke's judgment, so successful as to make unnecessary any further attempts. Apparently they had failed in the three points, in which he hopes to excel : (1) they had not traced everthing up to the source, and this (2), as far as it went, not 'accurately' and (3) they had not written 'in order' [1]."

The same book further discusses the point whether or not the work of St. Luke's justifes the claims of that Apostle : "We are led to the conclusion that, though Luke attempted to write 'accurately', and in 'order', yet *he could not always succeed.* When deciding between an earlier and a later date, between this and that place and occasion, between metaphor and literalism, between what Jesus himself said and what he said through his disciples, he (Luke) had to be guided by evidence which sometimes led him aright, but not always.[2]"

We further read in the same work : "Luke's absolute omission of genuine and valuable traditions—especially in connection with Christ's appearance to women after the Resurrection, and with Christ's promise to go to 'Galilee'—. . . . seriously diminishes the value of his work. It is probably the best adapted for making converts. But if bold bare facts are in question, *it is probably the least authoritative of the Four* [3]."

Luke's failure has evidently been ascribed to his attempts being human, and his sources mortal, which could 'not always' guide him aright. If his work had been revealed, he could not have been accused of having omitted some most important incidents, or of his book being "the least authoritative".

---

(1) Encyclopædia Biblica, p. 1790.

(2) Ibid.

(3) Encyclopædia Biblica, p. 1793.

It seems, however, that the laity in Christendom are generally as ignorant, with regard to these vital questions, as non-Christians, to whom Christian literature is inaccessible in the main. A brief account of these questions is, therefore, likely to be of interest and use.

According to the doctrines of Islam, the four Gospels are not revealed by God. Nor was it the Holy Ghost that moved the writers of the said Gospels to write them. But it was the example of other writers, that inspired them with the desire of compiling brief biographies of Jesus.

1. St. Luke's Gospel

St. Luke's own words to this effect are :

"For as much as many have taken in hand to set forth, in order, a declaration of those things which are most surely believed among us,

"Even as they delivered them unto us, who from the beginning were eyewitnesses, and ministers of the word ;

"It *seemed good to me also*, having had perfect understanding of all things, from the very first, to write unto thee in order, most excellent Theophilus,

"That thou mightest know the certainty of those things, wherein thou hast been instructed" St. Luke : i-4.

St. Luke has very plainly set forth the grounds of his inspiration, namely : (1) the example of other writers of Jesus' life ; (2) his consciousness of possessing "perfect uuderstanding of all things from the first"; and (3) to impart reliable information to Theophilus. Thus, St. Luke does not call his Gospel a divine revelation, but he claims for it (a) diligence in collecting all available material, (b) fullness, (c) careful investigation, (d) orderly arrangement and (e) accuracy.

The Rev. Grieve, M.A.,D.D., Principal of the Congregational Hall, Edinburgh, and a joint Editor of Peake's famous Commentary, explains Luke's preface in the following words : I. 1-4. "The writer, *influenced by the attempts* of others, to record the primitive tradition of Christianity, as it was handed down by the first generation of disciples, essays the same task, and having taken pains to collect, examine, sift and arrange the contents of the *written oral tradition*, presents the result to Theophilus, a Roman official of some standing—a literary patron of the Evangelist's—who needed fuller acquaintance with the historic basis of the oral teaching about Christianity which he had received [1]."

God reveals books for the guidance of a nation or nations, as the case

(1) Peake's Commentary, p. 725.

wrote in the city of Alexandria, his gospel, in which he gave an account of the birth and life of the Master of Christianity, mentioning several events which are not to be traced in the other three gospels. (2) St. Luke also did not see Jesus, but he was converted to Christianity by St. Paul, the latter being an Israelite who himself had not seen Jesus, but was converted by St. Anamias. (3) St. Matthew also did not see Jesus, bu was converted to the Christian faith by St. Peter, some time after the ascension of Jesus; he took his gospel from St. Peter in the city of Rome. St. Matthew's gospel contradicts several statements of the other three Gospels.

St. John was the nephew of Jesus. It was at the wedding of John, that Jesus converted water into wine. Witnessing this miracle, John immediately became a Christian proselyte, left his wife and followed Jesus. He was the author of the fourth gospel, called after him, written in the Greek language, in the city of Ephesus.

These are the four gospels of the Christian New Testament, although Moslems do not believe them to contain the uncorrupted word of God. They are nothing more than biographical works which are liable to defects and errors. There was but one Gospel, namely, the "Evangel" which God vouchsafed to give to Jesus, for him to preach to the Israilites. The Book containing the True Word of God must needs be free from all discrepancies; yet it is written in St. Mark's gospel, that in the book of the Prophet Isaiah it was said by God: 'I have sent an Angel before thy face,' namely, before the face of Jesus; whereas the words *are not* in the book of Isaiah, but in that of Malachi (see St. Mark R.V.) Again it is related in St. Matthew's gospel (Matt. xii. 40) that Jesus said 'My body will remain in the belly, of the earth three days and three nights after my death, just as Jones was in the whale's belly,' and it is evident this was not true, for St. Matthew himself agrees with the three other writers of the gospels, that Jesus died at the sixth hour on Friday, and was buried at the first hour of the night and rose from the dead early on Sunday morning, so that he remained in the belly of the earth two nights only.

Islam and the Four Gospels

As already pointed out, Moslems do not admit the authenticity of the Gospels, or the creed contained therein, or the leading events in the life of the Holy Prophet Jesus, as depicted by these same Gospels. In this attitude Moslems are supported by the scholarly researches of devout Christians even.

2. Ordering the Prophet to praise God :

"Say, O God, possessor of the Kingdom, Thou givest dominion, to whom Thou wilt, and Thou takest away Kingdom from whom Thou wilt: Thou exaltest whom Thou wilt, and Thou humblest whom Thou wilt, in Thy hand is Good, and Thou art the Almighty : Thou causest the night to succeed the day, and Thou causest the day to succeed the night : Thou bringest forth the living out of the dead, and Thou bringest forth the dead out of the living, and Thou art the provider of substance, to whomsoever Thou wilt, without measure."

3. Right and Wrong :

"Say, whether ye conceal that which is in your hearts, or whether ye show it God knoweth it : He knoweth whatever is in heaven and whatever is on earth : and He is the Almighty. On the Day of Judgment, every soul shall find present the good which it wrought. \ And the evil which it wrought, will cause it such a disgrace, that it shall wish that there was a vast distance between itself and that evil."

4. Belief of the faithful :

"The Apostle (Mohammad) believeth in that which hath been sent down unto him from his Lord, as do the faithful (also). Every one (of them) believeth in God and His Angels, and His Scriptures, and His Apostles : We make no distinction between any of His Apostles. And they say 'We have listened, and so we obey. Thy mercy, O Lord, for unto Thee (O Lord) must we return.' God will not burden any soul beyond its power. It shall enjoy the good which it hath gained, and shall bear the evil which it hath wrought. O Lord, punish us not, if we forget or fall into sin ; O Lord, lay not on us a burden, like that which Thou hast laid on those who have been before us, neither make us, O Lord, to bear what we have no strength to bear, but be favourable unto us, and spare us, and be merciful unto us. Thou art our patron, help us therefore against the unbelieving people."

With regard to the New Testament, Moslems hold the belief that, although God revealed the Gospel to His Messenger Jesus Christ, the so-called gospels, ascribed to the four saints, do not represent the true word of God as revealed to the Teacher of Nazareth. With Moslems these books ***are mere historical works, dealing with the history of Jesus***, and they contradict each other in certain statements. Three of the authors of the four gospels, did not see Jesus at all. (1) St. Mark did not see Jesus, until the year he was taken up to heaven. After the ascension of Jesus, St. Mark

in the Koran, to come to a reasoning with the followers of the new faith and, then, to judge for themselves, as to whether Mohammadanism was to be rejected by pure reason cleared of every grain of partiality. But the high voice from Heaven was not hearkened to and differences of a religious nature still continue between Moslems and non-Moslems.

The Koran is a Divine Book which from the day of its revelation through the message of the Arabian Prophet and Apostle of God, up to this moment, has undergone no alteration whatever [1]. It is the Sacred Book that continues to reign over the hearts of its hearers, to convince them, through their own conscience and spiritual nature of its Divine origin. No human pen, however powerful, can venture to imitate it. The miraculous nature of the Koran has, long ago, been solemnly confirmed by those who were the most competent judges. The Arabians could boast of no other literature than witty poems of eloquence in their own language.—though as they paid due honour to any distinguished poem by their famous poets—were struck with infinite admiration, when they heard the Prophet of God rehearsing certain portions of God's new Gospel to them. Their own celebrated Rabiaa, whose poem was attached to the Sacred Pantheon of the Kaaba, could, without much trouble or hesitation, judge that the Koran of Mohammad was rightly a Divine Book, and that the illiterate orphan was the true messenger of God. From the perusal of the concise, but accurate history of the Prophet, in part II of this essay, it is clear enough, how the obstinate minded Arabs of the Desert received the Book with adoration and perfect reverence. Again, the contents of the Koran most readily answer all questions that may be raised on religious or civil matters. I will quote here some translated passages from that Holy Book, as specimens of the rest, and leave them to recommend themselves :

1. Calling the Jews and Christians to come to agreement[2] with the Moslems :

"Say. O ye who have received the Scripture (Jews and Christians) come to a just determination between us and you ; that we worship not any except God, and associate no creature with Him ; and that the one of us takes no other for lord,[3] beside God. But if they turn back, say ; Bear witness that we are true believers."

(1) See Sir Muit's Life of Mohammad ; Dr. Hughes' Dict. of Islam.

(2) That is to come to such terms of agreement as are indispensably consonant to the doctrine of all the prophets and scriptures, and therefore cannot be reasonably rejected.

(3) The Jews and Christians used to pay rather blind obedience to their priests and monks who took upon them to pronounce what things were lawful and what were unlawful, and to dispense with the laws of God. (Sale)

where the eternal consequences of man's submission to God's holy will, or of rebellion against it, are pictured; touching in its simple, almost crude earnestness, when it seeks again and again encouragement or consolation for God's messenger, and a solemn warning for those, to whom he has been sent, in the histories of the prophets of old: the language of the Koran adapts itself to the exigencies of everyday life, when this everyday life, in its private and public bearings, is to be brought in to harmony with the fundamental principles of the new dispensation.

"Here, therefore, its merits, as a literary production should, perhaps, not be measured by some preconceived maxims of subjective and aesthetic taste, but by the effects which it produced in Mohammad's contemporaries and fellow-countrymen. If it spoke so powerfully and convincingly to the hearts of his hearers, as to weld hitherto centrifugal and antagonistic elements into one compact and well-organised body, animated by ideas, far beyond these which had until now ruled the Arabian mind, then its eloquence was perfect, simply because it created a civilised nation out of savage tribes, and shot a fresh woof into the old warp of history.

"When a long period of conquests scattered the Arabs to the farthest East and to the farthest West, their spoken language might deviate from its pristine purity, slurring over unaccented syllables and dropping terminations. But the fine idiom of their forefathers, as deposited in the Koran, remained the language of their prayer and their pious meditation, and thus lived on with them, as a bond of unity, an object of national love and admiration, and a source of literary development, for all times [1]."

The Koran, therefore, is the last Scripture from God which has superseded by its new dispensation all preceding Scriptures, containing all comprehensible instructions and laws, all matters concerning the relation between the Creator and His creature, and between man and man. It is a miraculous book which is a poem, far beyond the power of poets to imitate, a code of laws bearing on every institution of an extensive commomwealth, on instruction, on the adminstration of justice, on military organisation, on finance, on a most careful legislation for the poor; and a complete code of beliefs and morals: all built up on the perfected belief in the one God Who holds man's destiny in His Hand. It embodies a correct summary of the true religion which former prophets from the time of Adam had taught to their respective countries, and a solemn warning to all mankind, to whom the "Seal of Prophets" had been sent to reclaim and to reform. It exposes and refutes the pretensions and incorrect interpretations of rabbins and priests who had misled their people. These latter were often called upon,

(1) Vide Dr. Hughes' Dict. of Islam pp. 526-530.

appears to me as the real and undeniable 'seal of prophecy' in Mohammad[1] ...."

But the approaches to truth are many, and he who devoted all his powers and energies, with untiring patience and self-denial, to the task of leading a whole nation by one of these approaches, from a coarse and effete idolatry, to the worship of the living God, has certainly a strong claim to our warmest sympathies, as a faithful servant and noble champion of truth.

It is, however, not my intention to dwell here any longer upon this side of the question. Praise has been bestowed in this work on the Koran and its author, without stint or grudge, and the unanimity of so many distinguished voices, in this respect, will no doubt impress the general reader in favour of the sacred book of the Mohammadans which until now he may have known only by name.

Dealing with the opinion, expressed on the Koran by some European authors who dwell upon the pretended inferiority of the later portions of the Koran in comparison with the earlier chapters, Dr. Steingass ably remarks as follows :

"Not being an Arabic scholar himself (Goethe), he knew the Koran only through the translations existing at the time which follow throughout the order of the received text... Those critics, on the other hand, who view the Koran with regard to the chronological order of its constituents, follow the descending scale in their estimate. But if we consider the variety and heterogeneousness of the topics, on which the Koran touches, uniformity of style and diction can scarcely be expected ; on the contrary, it would appear to be strangely out of place. Let us not forget that in the book, as Mohammad's newest biographer, Ludolf Krehl (Das Leben des Mohammed, Leipzig 1884) expresses it, 'there is given a complete code of creed and morals, as well as of the law based thereupon. There are also the foundations laid for every institution of an extensive commonwealth, for instruction, for the administration of justice, for military organisation, for finance, for a most careful legislation for the poor : all built up on the belief in the one God Who holds man's destiny in His hand.' Where so many important objects are concerned, the standard of excellence, by which we have to gauge the composition of the Koran as a whole, must needs vary with the matter treated upon in each particular case. Sublime, and chaste, where the supreme truth of God's unity is to be proclaimed ; appealing in high-pitched strains to the imagination of a poetically-gifted people,

1. See Von Goethe's, West-Oestlicher Divan.

was afterwards of great service to Mohammed, in writing answers to the satires and invectives that were made on him and his religion [1]."

Von Gœthe renowned German author, speaking of the Koran in his West-Oestlicher Divan, states:

"However often we turn to it, (the Koran), at first disgusting us each time afresh, it soon attracts, astounds and, in the end, enforces our reverence.... Its style, in accordance with its contents and aim, is stern, grand, terrible,—ever and anon truly sublime... Thus, this book will go on exercising, through all ages, a most potent influence [2]."

Dr. Steingass, the learned compiler of an English-Arabic and Arabic-English Dictionary (W.H.Allen and Co,) has recorded his opinion on the Koran in Dr.Hughes' Dictionary of Islam. After alluding to the above words of Goethe Dr. Steingass writes: "These words seem to me so much the more weighty and worthy of attention, as they are uttered by one who, whatever his merits or demerits in other respects may be deemed to be, indisputably belongs to the greatest masters of language of all times, and stands foremost as a leader of modern thought and the intellectual culture of modern times". (Here Dr. Steingass quotes the words of Goethe and then says) "A work, then which calls forth so powerful and seemingly incompatible emotions, even in the distant reader,—distant as to time, and still more so, as to mental development—a work which not only conquers repugnance with which he may begin its perusals, but changes this adverse feeling into astonishment and admiration. such, a work must be a wonderful production of the human mind indeed, and a problem of the highest interest to every thoughtful observer of the destinies of mankind. Much has been said, in the preceding pages, to acknowledge, to appreciate, and to explain the literary excellencies of the Koran, and a more or less distinct admission, that Buffon's much-quoted saying: "Le style est l'homme", is here more justified than ever, underlies all these verdicts. We may well say, the Koran is one of the grandest books ever written, because it faithfully reflects the character and life of one of the greatest men that ever breathed. 'Sincerity' writes Carlyle, 'sincerity, in all senses, seems to me the merit of the Koran.' This same sincerity, this ardour and earnestness in the search for truth, this never-flagging perseverance in trying to impress it, when partly found, again and again upon his unwilling hearers,

---

(1) See Sale's Prelim. Discourse.

(2) See Goethe's West-Oestlicher Divan. These words of Goethe were placed by Mr. Rodwell by way of motto on the reverse of the title page of his translation of the Koran.

and that deficiency is made good by the Koran, it being the last divine word of God.

Let us now make a swift survey of the Koran, as far as our limited space in this work allows; for to describe it in detail would require unlimited time and space. For various reasons, all being much to the advantage of the non-Moslem reader,—I shall content myself with a number of quotations of what was written on the Koran by the pen of non Moslem critics, whose writings on the subject can be passed by a Moslem, as giving a sufficiently true picture of the Holy Koran. However, it must ever be remembered that, as a miraculously Divine Book, the Koran, when translated into a foreign language, necessarily loses a great deal of its supernatural elegance and purity of style.

Mr. Sale addresses the reader of his English version—praiseworthy as it is—in the following words :

".... though he (the reader) must not imagine the translation to come up to the original, notwithstanding my endeavours to do it justice."

In another place, the same writer comments on the Koran as follows :
"The Koran is univesally allowed to be written with the utmost elegance and purity of language, in the dialect of the tribe of the Koreish, the most noble and polite of all the Arabians; but with some mixture, though very rarely, of other dialects. It is confessedly the standard of the Arabian tongue and, as the more orthodox believe and are taught by the book itself, inimitable by any human pen, and therefore insisted on as a permanent miracle, greater than that of raising the dead, and alone sufficient to convince the world of its origin

"And to this miracle Mohammed himself chiefly appealed for the confirmation of his mission, publicly challenging the most eloquent men in Arabia which was at the same time stocked with thousands whose sole study and ambition it was, to excel in elegance of style and composition ; to produce even a single chapter that might be compared with it I will mention but one instance out of several, to show that this book was really admired for the beauty of its composition by those who must be allowed to have been competent judges. A poem of Labid Ebn Rabia, in Mohammed's time, being affixed to the gate of the temple of Mecca, an honour allowed to none but the most esteemed performances, none of the other poets durst offer anything of their own in competition with it. But the second chapter of the Koran, being affixed near it soon after, Labid himself (then an idolater) on reading the first verses only, was struck with admiration, and immediately professed the religion taught therein, declaring that such words could proceed from an inspired person only. This Labid

The crucifixion of Jesus by the Jews is entirely refuted, according to St. Barnabas and the Koran. In that Gospel, it is asserted, that Judas, the traitor, was he who was crucified, in the place of the Lord Jesus. "Of this Gospel", writes Mr. Sale, "the Moriscoes in Africa have a translation in Spanish, and there is in the library of Prince Eugene of Savoy, a manuscript of some antiquity, containing an Italian translation of the same Gospel made, it is supposed, for the use of renegades.."

In St. Barnabs' Gospel, the Prophet Mohammad is foretold by name, as the Periclyte, that is, the famous or illustrious, that being the signification of the name of Mohammad in Arabic ; thereby justifying the passage in the Koran (chap. 61) where Jesus is formally asserted to have foretold his coming, under his other name of Ahmad, which is derived from the same root as Mohammad and of the same import.

Mr. Sale states that he inspected a Spanish translation of the Italian copy ot St. Barnabas' Gospel, of which he gives the following account :

"There is a preface prefixed to it, wherein the discoverer of the original MS., who was a Christian monk called Fra Marion, tells us that, having accidentally met with a writing of Irenacus (among others), wherein he speaks against St. Paul, alleging for his authority the gospel of St. Barnabas, he became exceedingly desirous to find this gospel ; and that God, of His mercy, having made him very intimate with Pope Sixtus V (1521-1590) one day, as they were together in that Pope's library, His Holiness fell asleep and he, to employ himself, reached down a book to read, the first he laid hand on proved to be the very gospel he wanted ; overjoyed at the discovery, he scrupled not to hide his prize in his sleeve, and on the Pope's awaking, took leave of him, carrying with him that celestial treasure, by reading of which he become a convert to Mohammadanism.

"This Gospel of Barnabas contains a complete history of Jesus Christ, from His birth to His ascension, and most of the circumstances of the four real..gospels are to be found therein, but many of them turned, and some artfully enough, to favour the Mohammedan system...... The passages produced from the Italian MS. by M. de la Monnoye, are to be seen in this Spanish version almost word for word [1]."

But to return.

On the other hand, the practical side of both the Jewish and Christian dispensations, as concerning social matters and civil law, is most deficient ;

(1) Sale's preface to his translation of the Koran.

In brief, it is enjoined upon every Moslem, to believe in God's previous Books of revelations, from Adam to Jesus, in so far as the contents of any extant book of them are not contradicted by the Koran.

At the advent of Islam, the Word of God, as revealed in the Old and New Testsments, was wrapped up in various superstitions, and was spoiled by an admixture of ungodly beliefs and imaginations. The Jews were openly charged, in the early chapters of the Koran, with having corrupted their Scriptures, with stifling passages. They obstinately and impiously denied the advent of Jesus. They believed that Christ was yet to come. They spoke ill, and most wrongly and indecently, of the acknowledged Jesus Christ and of his revered mother, the Virgin Mary. They attributed to God the adoption of a son in the person of Ezra.

With regard to Christianity, its real and pure doctrines were exceedingly and abominably corrupted [1]. A sect substituted the Virgin Mary for God, or worshipped her as such. These were called the Mariamites [2].

Christians also believed in the divinity of Jesus. They worshipped him as God, called him the son of God, and even God Himself.

Dr. Hughes, commenting on the state of degradation, into which the Christian Church had fallen, at the advent of Islam, writes as follows :—

"The bitter dissensions of the Greeks, Nestorians, Eutechians and Monophysites, are matters of history, and must have held up the religion of Jesus to the ridicule of the heathen world. The controversies, regarding the nature and person of our Divine Lord, had begotten a sect of Tritheists...

"The worship of the Virgin Mary had also given rise to a religious controversy between the Antidus—Mariamites and the Collyridians ; the former holding that the Virgin Mary was not immaculate, and the latter, raising her to a position of a goddess. Under these circumstances, it is not surprising to find that the Arabian reformer turned away from Christianity [3]."

The Gospel of St. Barnabas commonly considered by Christian theologians as "apocryphal",—is most in harmony, as to matters of faith, with the Koran. Jesus Christ is spoken of in that Gospel as the servant of God ; the word of God and a Spirit from God. His miraculous birth, being born without a father was even less supernatural than the creation of Adam who was created by God's power without father or mother.

(1) Vide G. Sale's Prelim. Discourse. (2) Vide Dr. Hughes' Dict. of Islam p. 53.
(3) See Hughes' Dictionary of Islam. p. 53.

believe to have undergone many alterations and corruptions, though there might possibly be some part of the true word of God therein. Any passages in the present copies which in sense are not in harmony with the teachings of the Koran, as far as matters of faith are concerned, are held by Moslems to be no true revelation. Hence, such statements in the present copies of the Old and New Testaments, as attribute to God a son, or to the Divinity a plurality or a corporeal from, are dogmatically and emphatically condemned as schismatic.

On the other hand, if any precept, tenet, law or regulation, relating to mode of worship, or rules of right and wrong, found in the Koran, is in harmony with similar precepts, as taught by the Testaments, it is because such tenets are immutable and eternal, and relate to that part of God's one, true and orthodox religion which is subject to no change or alteration, inasmuch as such laws were saved from corruption.

Apparently it is due to the misunderstanding of this fundamental superstructure of the Mohammadan Religion (to wit : that from the beginning to the end of the world, there has been, and still for ever will be, but one true religion), that some of the prejudiced class of Western historians and commentators have been apt to wrongly describe such systems, rites or rules of the Religion of Islam, of which the like exist in the Jewish Scriptures, as 'borrowed' from these books. Such critics, if absolutely innocent, conscientious and well-informed, must needs admit, that these common precepts are but confirmed by the Koran as immutable in themselves.

It must be again and again re-iterated until the basis of the Religion of Islam is well understood, that this religion does not profess to be a new religion, formulated by the Prophet Mohammad, but a continuation of the true religious principles, established by God through His revelations to Adam, Noah, Abraham, Moses and to other inspired Messengers of God. The revelations of God's prophets, prior to the advent of Mohammadanism, are held to have been partly corrupted by the hand of man, through the various renderings and divers versions of same. All portions of the Word of God that were by chance, or otherwise, saved from corruption,—such as relate to that part of God's religion which is eternal and immutable,—have been preserved and confirmed by the Koran, together with other corrected beliefs and dogmas of faith, and such additional rules of practical devotion, as God judged fit for the new and eternal dispensation. Hence, it is out of place and entirely misleading, that any critic should suggest, that Mohammadanism is 'indebted,' either to tho Jewish or any other dispensation, for any elements in its system.

There are also two celebrated angels, 'Radwan' who is in charge of Paradise, and 'Malik' who is in charge of Hell.

The angels intercede for men, while they celebrate the praise of God; they implore forgiveness for the dwellers of earth. They also act as guardians for men. Each man has a succession of angels before and behind him, who watch over him by God's behest.

3. Belief in the Scriptures of God

The fundamental position, on which the superstructure of the Mohammadan Religion is erected, is that, from the beginning to the end of the world, there has been, and for ever will be, but one true orthodox religion. This true religion consists as to matter of faith, in the acknowledgement of the only true God, and in the belief in, and obedience to such messengers or prophets of God, as He has been pleased to send from time to time, with credentials, to reveal His will to mankind; and as to matter of practice, the religion of God consists in the observance of the immutable and eternal laws of right and wrong, together with such other precepts and ceremonies, as God ordained as fit, for the time being, according to the different dispensations in different ages. These precepts and ceremonies were in themselves non-essential, but they became strictly obligatory by God's positive command; and were, therefore, temporary and subject to alteration, according to His will and wisdom. Hence, the name 'Islam,' signifying absolute surrender to the will of God, is used commonly to denote the Mohammadan Religion. This name, however, also applies to God's religion, since the beginning of the World, inasmuch as all true religion is nothing, but absolute submission to God's will. As to scriptures, the Moslems are taught, that God, in divers ages of the world, gave revelations of His will in Books, to several prophets. The number of these sacred Books is said to be 104: ten Books were given to Adam, fifty to Seth, thirty to Idris (Enoch), ten to Abraham; and the other four, being the Pentateuch, the Psalms, the Gospel and the Koran, were successively delivered to Moses, David, Jesus and Mohammad. No further revelation to mankind is to be expected. The Prophet Mohammad is, as taught by the Koran, the seal of God's messengers and prophets.

All of these divine Books, except the four last, are believed to be now entirely lost. As to the Pentateuch, the Psalms and the Gospel, the Moslems give no credit to the present copies of these Books, which they

If, then, the scientific world agree, that Law predominates in matter, force and energy and if it also believes in Monism, it follows that it must believe in one design and in one mind. There may be a hundred and one laws at work in Nature, but they all converge on one purpose. In short, Law is, and must be obeyed, if the world is to go on at all. Law is the "Obeyed" Entity and in this connection, the reader may be interested to learn, that the word Allah, Who is the object of worship with Moslems, literally means "The Obeyed".

"God says", says Mohammad, "do not abuse the Universe, because *I am the Universe.*" — a great truth and undeniable reality. It means, that all the manifestations of Nature are the manifestations of the God-Mind, and that all the forces and laws of Nature are the features and characteristics of that Great Being.

To be in touch with Nature, is the secret of all success, of all felicity in life ; and if, in Islam, the dictum has been pronounced, in a somewhat different language, "to imbue ourselves with Divine Attributes", it means the same thing. For the attributes of God, as mentioned in the Holy Koran, do perfectly and completely index the working of Nature ; and if, to believe in God, is to accept Him, as the Source of all Law, and to worship Him means simply to obey His Law, how can we disbelieve in the God of Islam ?

2. Belief in the Angels of God

The angels are created of light, and endowed with life, speech and reason. They are free from carnal desire and the disturbance of anger : they disobey not God in what He has commanded them, but do all that they are commanded. Their food is, to celebrate God's glory ; their drink, to proclaim His holiness ; their conversation, to commemorate God ; their pleasure, to worship Him. The angels are created in different forms and with different powers.

The number of angels is very great ; it can be known to no one except to God. Four of the angels are archangels, namely, Jibril (Gabriel), the angel of revelations ; Mikhail (Michael), the angel of rain ; Israfil, the angel who will announce the advent of Resurrection ; Azrail, the angel of death.

Every man is attended by two recording angels, called the "Kiram-ul-Katibeen," or the illustrious writers, one of whom records his good actions, and the other his evil actions. There are also two other kinds of angels, called 'Monkar' and 'Nakeer,' who examine the dead in the grave.

Note the words in italics. The whole universe has been regulated with mathematical precision ; and that we may derive the best advantage from it, we must respect the *measure*,—find out these *reckonings* and *measures*, and not make them *deficient.*

Every created thing, from the stars of heaven to the smallest herbs that grow on the earth, observes rules laid down with mathematical reckoning, and observes measures, prescribed for its creation and development.

In short everything that is created in this universe, is based on mathematical principles ; and all our scientific researches owe their existence to this science of measure and reckoning,

I could agree with Ernst Haeckel, if man, in this search for purpose in Nature, could disregard these mathematical principles. In reality we did not create purpose for Nature ; we simply discovered those measures and rules which had been laid down for the working out of the purpose.

Can we, then, deny, behind the working of Nature, the existence of some Great Mind,—the Regularizer, the Reckoner and the Measurer ? Let us, in the words of the Holy Koran, "glorify the Name of Our Lord Most High, Who creates, then balances ; Who measures, then guides".

Does evolution of matter really consist in the development of its potentialities ? Is not the human organism proved, by biological research, to be the final and best evolution of matter ?

The consciousness which is evolved out of animated matter, in the animal kingdom, in the form of impulses, evolves into natural passion in man. But this is not the final growth In its turn, it must evolve ethics and high philosophy. Where, then, is the constructive ability, inherent in matter, which should now work all the more vigorously, to sublimate my consciousoness into high moral and philosophic growth ? Do I possess a nature which automatically distinguishes between Right and Wrong ? Or must I cultivate such a nature, through guidance ? Do I, by nature, nauseate at wrong philosophy ? Do I, by instinct, spurn things injurious to my intellect ? Do I discern between wholesome and unwholesome food, without guidance ? Man, who represents the highest possible form of evolved matter, is hopelessly destitute of that constructive ability for the evolution of this intellect, which discriminates so unerringly in the physical building of organism. The very fact that, as far as the unconscious growth of matter goes, this constructive ability works so splendidly, but disappears on the rise of consciousness, proves conclusively, that it was not an inherent faculty in matter, but an external guidance, — guidance form the Source that has been called *Rabb*—Who is the God of Islam.

and that it is due to us, that it has become active. All of which tends rather to prove design, than otherwise. But there are other ways of looking at it.

If a mind works upon material, giving it shape to serve a certain purpose, it is impossible for another person, to use that material in a way other than that in which it was designed by its maker. If you deny the design of its maker, you are looking for trouble, and wasting your effort.

Here are pieces of iron and wood before me : I use them in making a machine, and any person desirous of using that machine, must do so in the way intended by me, and in that way only.

Can you use the things that God has made, otherwise than in the way intended by Him ?

Your body is a wonderful machine,—endowed with numerous faculties, to which are added Free-will, and the power of discretion. But can you use your nose for seeing ? Or can you eat through your ear ?

This machine of your body has been fashioned by an Intelligence and a Mind, and if you act contary to its designs, your actions will not be acceptable in the realm of Nature. For thus says the Holy Koran : "Is it, then, other than Allah's way that they seek to follow ; and to Him submits whoever is in the heaven or on the earth, willingly or unwillingly... And whoever desires a way other than submission (Islam) it shall not be accepted from him ; and in the end, he shall be the loser" (III. 82-84)

Again, if a particular form of matter involves, in its being, certain principles, the knowledge and application of which, alone make the realisation of that purpose possible; then it is certain that a mind has pre-ordained it. If the small form of matter had existed independently of such principles, and if there had been no need of their knowledge, nor had any advantage accrued to us in our application of such knowledge, then one might, perhaps, deny the purpose behind it.

The Holy Koran tells us, that everything in Nature is for our benefit, and further apprises us of the principles which will enable us thoroughly to make use of them : "The Beneficient God taught the Koran. He created man, taught him the mode of expression. The sun and the moon follow a *reckoning, and the herbs do obey (Him).* And the heaven, He raised it on high ; and He made the *measure* ; *that* you may not be *inordinate in respect of the measure* ; and keep up the *balance* with equity, and do not *make the measure* deficient. And the earth He has set it for living creatures ; therein are fruit and palms having sheathed clusters, and the grain with (its) husk and fragrance. Which then of the bounties of the Lord will you reject" ? (LV. 1-13).

Yet, I could even worship this Fetish of Accident, if all these defined movements of our planet had failed to produce desirable results, making for our benefit. And this being so, I am compelled to believe in some Will, under whose control Nature works, not blindly. The alternation of day and nigt—which causes changes in the weather, affecting the atmosphere, changing the course of the winds, bringing the rainy seasons and the dry weather, in a desired order ; the withering of Nature, and its resuscitation ; these, and the life of man himself, depending on the peculiar bend of the earth sphere towards its orbit, are these all at random ?

You will not find a single thing in the realm of Nature which is unconnected with your own existence. As the Book says : "Those who remember Allah.. and reflect on the creation of the heavens and the earth, (say) : Our Lord—Who looks to our sustenance and maintenance,—Thou hast not created all this in vain. Glory be to Thee." (III : 190).

The unintelligible phenomena of yesterday are, today, instinct with a great and real purpose, And so it will be with the milliards of things which still baffle us. Which being the case, I have every right to suppose that every object in Nature admits of my using it for my benefit—if only I know how,—and is subservient to me under the ordinance of some Mind, Which I call Allah ; for, did you ever think of a contrivance, or scheme out a design, in the working out of which you did not find the necessary aids already existing in Nature ?

But, you will say, things in themselves are not subject to design ; it is only man's intelligent use of them that makes them useful.

We all know that light, and the colour known as green, strengthen the sight ; and green is the prevailing colour in Nature after light. But, it is said, the green colour was not made intentionally to strengthen sight ; rather the eye became accustomed to it, and so derived benefit from it.

But consider the case of the mole. The mole has eyes, but being generally away from the light, it is blind. It cannot make its surroundings subservient to its sight. Whence it may be seen, to what an extent the eye is indebted to light and green colour.

In support of his theory, that Nature is not with purpose intrinsically, but that its purpose is, as it were, of man's contriving. Ernst Haeckel adduces the illustration of powder.

Powder was for ages lying useless and unused ;—by finding a use for it we have invested it with a purpose. But that is tantamount to asserting that inquiries have invested powder with its properties, or in other words that the purpose of the explosive was already in it, but in a dormant state ;

as an accident, but under a Law—the Law of Condensation—from the collocation of ethereal specks. But this ether, as it is called, is, in its turn, a law-ridden entity.

Ernst Haeckel and others, refusing to admit the priority of Mind to Matter, sought a way out by regarding matter and energy as one and the same thing, with "law-abidingness" as a permanent characteristic, and calling it Law-Substance. Law-Substance, therefore, is a first cause, self-created, and the creator of other things,—self-existing, and the maintainer of subsequent growth, omnipresent, and all-pervading, indestructible and infinite; add to these the attributes of all-knowing and all-powerful, designer and regularizer, and, though you style yourself atheist or free-thinker, you believe in the God of Islam. As the Holy Koran says : "And to Him doth obey what is in the heavens and the earth. And a sign to them is the night; we draw forth from it the day, then lo, they are in the dark; and the sun runs on to a term appointed for it; that is the ordinance of the Mighty and the knowing. And as for the moon, We have ordained for it stages, till it becomes again as an old dry palm-branch. Neither is it allowable to the sun, that he should overtake the moon, nor can the night outstrip the day. All float on in a sphere" (XXXIV : 37-40). Thus is the whole Solar System under Divine Ordinance.

What was that Law—the Law of Gravity,—"evolved from accidence," what made the earth stand on its orbit, with its axis inclined ?

What a contradiction in terms—law and accident. To what lengths will we not go, to avoid belief in the Divine Ordinance.

Is the camera an accident ? The lens, the sensitive paper. The light regulating contrivance, and so forth, all suggest design and mind; and yet the camera is but the crudest copy of an eye which is, presumably, a thing evolved at random. And what about the feeling that the image reflected produces ? The lens of the camera reflects the image, but it does not see, it does not feel; whereas the eye sends a thrill into the very soul, when we see anything beautiful.

Can we give or receive a telephone message without an "exchange" ? Some *design* to connect the giver and the receiver is indispensable.

The brain of an army—known in modern parlance as General Head Quarters—is preeminently the product of design. Is the brain of man just a haphazard contrivance, meaningless in its inception ?

We assign a distinct design to every one of the hundred and one pipes fixed, in the machinery of an ordinary steam engine. Are the million and one nerves that work so miraculously in our own bodies, purposeless and without intent ?

There are three main laws in the Universe—the Law of Creation, the Law of Substance and the Law of Evolution ; so if we seek, as it were, to personify the Great Mysterious Power, and clothe Him with attributes that we mortal men can comprehend, we shall endeavour to visualise him as Creator, Sustainer and Evolver.

The Arabic language has one word which comprises all three ideas—*Rabb-ul-Aalameen* ; the word *Rabb* signifying Creator, Sustainer, and one who has endowed every object with the capacity of ultimate development,—thereby anticipating the doctrine of Evolution, many centuries before Darwin gave his theories to the world.

At every evolutionary stage of matter, however transient it be, we find a course prescribed, and an organisation pre-ordained—Nature everywhere obeying the Law.

As the Holy Koran says :"And to Allah does obeisance whatever is in heaven and earth—willingly or unwillingly."

Over and over again, the Holy Koran lays down with great clarity, that a Reign of Law exists, dominating the whole material world ; and every day, fresh discoveries of science do but prove inspired accuracy of the Sacred Book. For after all, this is the sum-total of all scientific discovery,—that all growth and all development of every element in Nature, is under the Rule of the Law.

Is, therefore, this Reign of Law,—this mechanism, as it were, of rule and regulation,—intentional ? Or is it accidental ?

Call it mechanism if you will ; but can you dissociate mechanism, from mind ?

The machine itself cannot think ; but what of the mind that made it ? Mechanism cannot construct itself.

In all human mechanism, we believe in the priority of laws and principles, on which certain mechanism is working. We acknowledge the pre-existence of the mind that devised the machine, and set it working.

Why do we hesitate, when we come to the great mechanism of Nature ? I suppose, we are afraid lest, if we once make such an admission, we shall have to accept Law, as separate from Matter,—to admit that Mind has priority over Subatance.

About seventy years ago, the Atomic theory was the popular craze. The Atom was our great God, our first cause and origin ; but later, we found this god itself a slave to Law. It was found to be, not an origin, but a product of some electronic specialization, which in its turn received its birth, not

anybody ever seen electricity ? But can we, then, deny the transmission of messages and signals to long distances, lighting and the working of machinery by means of electricity ? The discovery of ether has brought about a revolution in the world of physical science, but has any scientist been able to find it by means of his five senses ? But if we deny its existence, we find ourselves unable to explain, how the rays of the sun reach the earth, How unjust is, then, the demand that in order to be believed in, God must be visible to the eye, while there are so many things which are believed in, though they are not visible to the eye, or perceptible by any other of the five senses. God is visible, but only to the eyes that are capable of seeing Him. But if anybody is desirous of seeing Him, He is before the whole world through His powers, and in spite of His being hidden, He is the most apparent of all. This fact has been briefly, but very exquisitely mentioned in the Holy Koran in the following words :

"The eyes do not reach Him, but He reacheth the eyes : and He is the Subtile, the Knowing".

In this verse, God draws the attention of man to the fact, that his eyes are not capable of seeing Him, for He is subtile, and subtile things cannot be perceived by the eyes. What, then, is the way of knowing God ? The Koran answers this question by saying : "And He reacheth the eyes" namely though the eyes of man are not capable of seeing Him, yet he reveals Himself to man by a display of His powers, and by a manifestation of His attributes. Manifold are the ways in which He reveals Himself to man. He displays His unlimited power sometimes by terror-striking signs, sometimes by signs of mercy, and at others, by accepting prayer. If God were to be believed in, only if He were perceptible by the eye, then we should have to deny the existence of about four-fifths of the things of the world, or the existence of all things, if we accept as true the view of certain philosophers who allege, that nobody can see the substance of anything in the world, and that it is only the form that we see.

We know very little of God, and yet we know that God exists ; that there is a Great Mysterious Power, at work behind the Universe.

In ancient times, Nature, or the forces of Nature, were deemed to be freakish, capricious powers, personified, to popular intelligence, as demons, and the like. Now we know that there is nothing freakish or capricious about Nature, that Nature works in accordance with a fixed law—the law of the Universe, the law laid and established by the Great Mysterious Power at work behind ihe Universe.

All we know of that Great Mysterious Power is compounded of all we know of the various laws—discovered from time to time—which govern the Universe.

that he will acknowledge a colour, only if he is made to hear the sound of it, would not such a proposition be considered unreasonable? Similarly, fragrance is known by means of smelling. Now, if anyone should say that he will consider a rose to be fragrant, only if he is made to taste its fragrance, would such a person be regarded as wise? On the other hand, if any body seeks to know, by smelling, things which can be known by tasting, such as sourness and sweetness, bitterness and saltiness, he will never be able to do so. Therefore it is not right, that we should accept those things only which we can behold with our eye, and disbelieve those things which are not recognizable by the eye. How absurd is, then, the demand that God must be shown to us before we believe in Him.

Moreover, there are certain things in man himself, the existence of which he recognises, without having seen them. We do not know all things merely by seeing, but they are known by means of five different senses. Now, there are many things which are not knowable, even by these gateways of knowledge, there being other ways of knowing them. For instance, reason, memory and intelligence are things which are not denied by any body; yet nobody has ever seen, heard, tasted, smelt or touched them. How did we, then, come to know that there were such things as reason, or memory, or intelligence? Again, has anybody ever seen, smelt, touched or tasted energy? Even the simplest man can see that we have not known these things by means of the five senses, but that there are other evidences that have led us to the knowledge of their existence. We see that when a man is confronted with a difficulty, he thinks for a while, and then devises a plan, by which he is able to solve his difficulty. When we see difficulties being removed in this way, we conclude that there is something in man which is of service to him on such occasions, and we call it reason. Thus, we do not become aware of the existence of reason directly through the five senses, but we obtain a knowledge of it by means of its wonderful manifestations. Similarly, when we see a man able to carry heavy loads, and some man, able to carry heavier weights than others, we infer that there is a capacity in man, which enables him to bear these burdens, and which some persons possess in a greater degree than others. This capacity we call strength. We have not seen strength, but we have seen the deeds that are done by strength, and from these we have concluded its existence.

Thus, we find that the more subtile a thing is, the more hidden it is from the human eye, and it is by actions, and not by the five senses, that we perceive the existence of such things.

But God is the subtlest of all. How unjust is it, then, to say that we cannot believe in the existence of God, unless He is shown to us. Has

Omniscient and Omnipotent.

"And with Him are the keys of the secret things; none knoweth them, but He : He knoweth whatever is on the land and in the sea ; and no leaf falleth but He knoweth it; neither is there a grain in the darkness of the earth, nor a thing green or sere, but it is noted in a distinct writing [1]."

All-Seeing but Unseen.

"Eyes do not reach Him, but He reaches the eyes : and He is the Subtile, the All-informed."

"It is He Who in six days created the Heavens and the Earth, then ascended His throne. He knoweth that which entereth the earth, and that which goeth forth from it, and what cometh down from Heaven, and what mounteth up to it; and wherever ye are, He is with you, and God beholdeth all your actions.

His is the Kingdom of the Heavens and the Earth: and to God shall all things return. He causeth the night to pass into the day, and He causeth the day to pass into the night; and He knoweth the very secrets of the bosom."

The Existence of God.

Of all the doctrines and beliefs that have been objected to in this age of materialism, the greatest is the belief in the existence of God. The first demand which an atheist makes is : "If you show God to me, I will believe in Him. How can I believe in Him without seeing Him ?" Western influences have gone a long way towards effacing from the hearts of many young men, the imprint of the Divine Being, and hundreds of college students and others, have begun to deny existence of God. There are thousands of persons who, though refraining from an open declaration of their views through fear of the community, have really no faith in Him ; therefore I submit the following suggestions on the subject, that haply some fortunate soul may be benefited thereby.

Man knows different things by means of different senses. Some things we know by means of seeing, some by tasting. A colour is known by seeing, not by smelling, touching or tasting. If anybody should say,

(1) On the preserved tablet, on which are written all the deerces of God.

"Sole maker of the Heavens and the Earth, how, when He hath no consort, should He have a son ? He Hath created every thing, and He knoweth every thing.

"This is God your Lord. There is no deity but He, the creator of all things ; therefore worship Him alone ; and He watches over all things. They say ; 'The God of Mercy hath gotten offspring.' Now have ye done a monstrous thing. Almost might the very Heavens be rent thereat, and the Earth cleave asunder, and the mountains fall down in fragments, that they ascribe a son to the God of Mercy, when it beseemeth not the God of Mercy to beget a son...."

Created All Beings to Adore Him.

"I have not created Jins and men, but that they should worship Me."

How He Speaketh with Man.

"It is not for man that God should speak with him, but by vision, or from behind a veil: Or, He sendeth a messenger to reveal, by His permission, what He will : for He is exalted (and) wise.

"Thus have We sent the Spirit (Gabriel) to thee with a revelation, by our command ; Thou knewest not, ere this, what the 'Book' was, or what the (true) faith was. But We have ordained it for a light : by it will We guide whom We please of Our servants. And thou (O, Mohammad,) shalt guide their feet into the right way."

God is Creator of Good and Evil Deeds, and Yet Good is from Him, but Evil from Man in Consequence of his Ignorance or Disobedience.

"By the sun and his noonday brightness ; By the moon when she followeth him ; By the day when it revealeth his glory ; By the night when it enshroudeth him ; By the earth and Him Who spread it forth : By a soul and Him Who revealed to it the way of wickedness and the way of piety (to choose between them)—Blessed now is he who hath kept it pure, and undone is he who hath corrupted it." "If good fortune betide them, they say, 'this is from God' and if evil betide them, they say 'this is from thee (the Prophet). Say : All is form God : Whatever good betideth thee, is from God, and whatever betideth thee, of evil, is from thyself ; and We have sent thee to mankind as an apostle : God is thy sufficient witness".

of the East nor of the West, whose oil shines out as it were, even though fire touched it not. It is light upon light. God guideth whom He will to His light, and God setteth forth parables to men, for God knoweth all things."

Provides for All.

"Whoso chooseth this quickly passing life, quickly will We bestow thereon that which We please—even on him We choose; afterwards We will appoint hell for him, in which he shall burn—disgraced, outcast.

"But they who choose the life to come and strive after it, as it should be striven for, being also believers—as for these, their striving shall be grateful (to God).

"To all—both to these and those—will We prolong the gifts of (Us We) - your Lord ; for not to any shall the gifts of thy Lord be denied.

"See how We have caused some of them to excel others ; but the next life shall be greater in its grades, and greater in excellence.

"Set not up another Lord with God, lest thou sit thee down disgraced, helpless.

Thy Lord ordained that ye worship none but Him . . . ."

His Words are Countless.

"Say : Should the sea become ink, to write the words of my Lord, the sea would surely fail, ere the words of my Lord would fail, though we brought (other seas) like it in aid....

"If all the trees that are upon earth were to become pens, and if God should after that swell the sea into seven seas (of ink) His words would not be exhausted ; for God is Mighty and Wise."

Has no Offspring.

"And they say, 'God hath a son' : No ; Praise be to Him. But—His is whatever is in the Heavens and the Earth. All obey Him.

"Sole maker of the Heavens and of the Earth. And when He decreeth a thing, He only saith to it, 'Be' and it is....

"Yet have they assigned the jins to God as His associates, though He created them ; and in their ignorance they have falsely ascribed to Him sons and daughters. Glory to be Him, and high let Him be exalted above that which they attribute to Him.

Creator of all things.

"He causes the dawn to appear, and hath ordained the night for rest, and the sun and the moon for computing time. The ordinance of the Mighty, the Wise."

"And it is He Who hath ordained the stars for you, that ye may be guided thereby in the darkness of the land and of the sea. Clear have We made Our signs to men of knowledge."

"And it is He Who produced you from one man, and hath (provided for you) an abode and resting-place. Clear have We made our signs for men of insight."

"And it is He Who sendeth rain from Heaven, and We bring forth by it the buds of all the plants, and from them bring We forth the green foliage, and the close growing grain, and palm trees with sheaths of clustering dates, and gardens of grapes, and the olive and the pomegranate, like and unlike. Look ye on their fruits, when they ripen and bear fruit. Truly herein are signs unto people who believe... This is God your Lord. There is no deity but He, the creator of all things, therefore worship Him alone; and He watcheth over all things..."

"We created the heavens and the earth and all that is between them in six days, and no weariness touched Us."

Perfect in His Works.

"Blessed be He in Whose hand is the Kingdom; and over all things is He potent:

"Who hath created death and life, to prove who of you will be most righteous in deed; and He is the Mighty, the Forgiving."

"Who hath created seven heavens one above another. No defect canst thou see in the creation of the God of mercy; repeat the gaze: seest thou a single flaw?

Then twice more repeat the gaze; thy gaze shall return to thee dulled and weary."

The Light of Heaven and Earth.

"God is the Light of the Heavens and of the Earth. His light is like a niche in which there is a lamp—the lamp encased in glass—the glass, as it were a glistening star. From a blessed tree it is lighted, the olive, neither

and to give hope (of rain,) and that He sendeth down water from heaven, and quickeneth thereby the earth, after it hath been dead : verily herein are signs unto people who understand. And of His signs (this also is one, namely) that the heavens and the earth stand firm at His command : hereafter, when He shall call ye out of the earth at one summons, behold, ye shall come forth...."

"When adversity befalleth man, they call upon their Lord, turning unto Him ; afterwards, when He hath caused them to taste of His mercy, behold, a part of them associate (other deities) with their Lord ; showing themselves ungrateful for the favours which We have bestowed on them...."

"When We cause men to taste mercy, they rejoice therein ; but if evil befalleth them, for that which their hands have before committed, behold, they despair. (It is) God Who Hath created you, and hath provided food for you : hereafter will He cause you to die ; and after that, will He raise you again to life."

"(It is) God Who created you in weakness, and after weakness hath given (you) strength ; and after strength, he will (again) reduce (you) to weakness, and grey hairs : He createth that which He pleaseth ; and He (is) the Wise, the Powerful."

God's Omnipresence asserted.

"There is no private discourse among three persons, but He is the fourth of them ; nor (among) five, but He is the sixth of them ; neither (among) a smaller number than this, nor a larger, but He is with them, wheresoever they be : and He will declare unto them that which they have done, on the day of resurrection ; for God knoweth all things."

God's Omnipotence.

"God, There is no deity but He, the Living, the Self-subsisting : Neither slumber seizeth Him nor sleep ; His, whatsoever is in the heavens, and whatsoever is on the earth. Who is He that can intercede with Him, but by His permission ? He knoweth what hath been before them and what shall be after them ; yet nought of His knowledge shall they grasp, save what He willeth. His seat reaches over the heavens and the earth, and the upholding of both is no burden unto Him ; and He is the High and the Great[1]."

---

(1) The above lines contain a magnificent description of the divine majesty and providence, but it must not be supposed that the translation comes up to the dignity of the original. This passage is justly admired by the Mohammedans who recite it in their prayers, and some of them wear it about them. Vide G. Sale, Trans. of Koran.

having declared by the tongues of the Prophets, that it was due to Him by them. The worship of God is not simply the dictates of the understanding, but He sent messengers to carry to men His commands and promises and admonitions : the veracity of these messengers He proved by manifest miracles, whereby men are obliged to give credit to them in those things which they relate.

Mr. George Sale rightly comments on the Mohammadan notion of God as follows :

"That both Mohammed and those among his followers who are reckoned orthodox, had and continue to have, just and true notions of God and His attributes, appears plain from the Koran itself and all the Mohammedan divines, so that it would be loss of time, to refute those who suppose the God of Mohammed to be different from the true God, and only a fictitious deity or idol of his own creation [1]."

I will now give a translation of some quotations from the Koran, bearing on the essence of God ; this subject forming such an important feature of the teachings of the religion of Islam :—

The Unity of God : "Say : He is God, the Singular, God the Lord, He begetteth not, nor is He begotten, nor is anything equal unto Him."

"Truly your God is but one, Lord of the Heavens and of the Earth, and of all that is between them, and Lord of the points (at which the sun rises and sets in the course of the year.) God, There is no deity but He, Most excellent are His attributes."

Proofs of His existence : "The (God) bringeth forth the living out of the dead, and He bringeth forth the dead out of the living, and He quickeneth the earth after it hath been dead ; and in like manner shall ye be brought forth (from your graves.) Of His signs (one is,) that He hath created you of dust ; and behold, ye (are become) men, spread over the face of the earth. And of His signs (another is,) that He hath created for you, out of yourselves, wives, that ye may cohabit with them ; and hath put love and compassion between you : verily herein are signs unto people who consider. And of His signs (are also,) the creation of the heavans and the earth, and the variety of your languages, and of your complexions ; verily herein are signs unto men of understanding. And of His signs (are,) your sleeping by night and by day, and your seeking (to provide for yourselves) of His abundance ; verily herein (are) signs unto people who hearken. Of His signs (others are) that He showeth you the lightning, to strike terror,

(1) Vide Sale's Prelim. Disc.

collision of bodies; nor in letters which are separated by the joining together of the lips, or the motion of the tongue. The Koran, the Law, the Gospel and the Psalter are books sent down by Him to His Apostles. The Koran, indeed, is read with tongues, written in books and kept in hearts: yet, as subsisting in the essence of God, it does not become liable to separation and division, when it is transferred into the hearts and the papers. Thus Moses also heard the word of God, without voice or letter, even as the saints behold the essence of God, without substance. And since these are His attributes, He lives and knows and wills and hears and sees and speaks, by life and knowledge and will and hearing and sight and word, not by His simple essence.

God's Works.

God—praised be His name—exists after such a manner, that nothing besides Him has any being, but what is produced by His operation, and flows from His justice, after the best, most excellent, most perfect and most just model. He is, moreover, wise in His works, and just in His decrees. But His justice is not to be compared with the justice of men. For a man may be held to act unjustly by invading the possessions of another; but to God, inasmuch as there is nothing which may belong to any other besides Himself, no wrong is imputable, for He cannot be considered as meddling with things not appertaining to Him. All things, Himself only excepted, genii, men, devils, angels, heaven, earth, animals, plants, substance, and their attributes, all are His creation. He created them by His power out of nothingness, and brought them into existence, when as yet they were nothing at all, but He alone existing from eternity, neither was there any other with him. Now, He created all things from the beginning, for the manifestation of His power and His will, and for the confirmation of His word which was true from all eternity. Not that He stood in need of them, nor wanted them; but He manifestly declared His glory in creating and producing and commanding, without being under any obligation, nor out of necessity. Loving, kindness, favour, and grace and beneficence, belong to Him; whereas it is in His power to pour forth upon men a variety of torments, and to afflict them with various kinds of sorrows and diseases; and should He do this, His justice would not be arraigned, nor would He be chargeable with injustice. Yet He rewards those who worship Him for their obedience, on account of His promise and beneficence, not for their merit or of necessity, since there is nothing which He is under an obligation to perform; nor can any injustice be supposed in Him, nor can He be under any obligation to any person whatsoever. That His creatures, however, should be bound to serve Him, arises from His

God's Will.

God wills those things to be that exist, and disposes of all accidents. Nothing passes in the earth or in the heavens, neither little nor much, nor small nor great, nor good nor evil, nor profitable nor hurtful, nor faith nor infidelity, nor knowledge nor ignorance, nor prosperity nor adversity, nor increase nor decrease, nor obedience nor rebellion, but by His determinate counsel and decree, and His definite sentence and will. Nor does the wink of him that sees, nor the subtlety of him that thinks, exceed the bounds of His will; but it is He who gave all things their existence or being. He is the Creator and Restorer and the sole operator of what He pleases, there is no one to reverse His decree, or delay what He has determined, nor is there any refuge for man from rebellion against Him, but only His help and mercy; nor has any man any power to perform any duty towards Him, but through His love and will. Though men, genii, angels and devils should conspire together, either to put one single atom in motion, or cause it to cease its motion, without His will and approbation, they would not be able to do so. His will subsists in His essence, with the rest of His attributes, by which He willed from eternity the existence of those things that He decreed, which were produced in their proper seasons, according to His eternal will, without any Before or After, and with agreement both with His knowledge and will, and not by methodising of thoughts, nor waiting for a proper time, for which reason no one thing is in Him a hindrance from another.

God's Hearing and Sight.

God—praised be His name—is hearing and seeing, and hears and sees. No audible sound however still, escapes His hearing; nor is anything visible so small as to escape His sight; for distance is no hindrance to His hearing, nor darkness to His sight. He sees without pupil or eye-lid, and hears without any passage or ear, even as He knows without a brain, and performs His actions without the assistance of any corporeal limb, and creates without any instrument, for His attributes are not like those of men, any more than His essence is like theirs.

God's Word.

God commands, forbids, promises, threatens by an eternal word, subsisting in His essence. Neither is it like the word of the creatures, nor does it consist in a voice, arising from the commotion of the air and the

existed before He created time and place; and He is now as He always existed. He is also distinct from the creatures by His attributes, neither is there anything besides Himself in His essence, nor is His essence in any other besides Him.

He is too holy to be subject to change, or any local motion; neither do any accidents dwell in Him, nor any contingencies befall Him; but He abides through all generations with His glorious attributes, free from all dissolution. As to the attribute of perfection, He wants no addition of perfection. As to being, He is known to exist by the apprehension of the understanding, and seen as He is by the eyes, through a favour which will be vouchsafed out of His mercy and grace, to the holy in the eternal mansion, completing their joy by vision of His glorious presence.

God's Life and Power.

God is living, powerfel, mighty, omnipotent, not liable to any defect or impotence, neither slumbering nor sleeping, nor being subject to decay or death. To Him belongs the Kingdom, the power and the might. His is the dominion and the excellence and the creation and the command. The heavens are folded in His hands, and all creatures are held within His grasp. He is the sole creator of beings and producer of things, and He is the communicator of existence, and from Him everything has its beginning. He created men and their works, and destined their maintenance, and determined their lives. Nothing that is possible, can escape His grasp, nor can the vicissitudes of things elude His power. The effects of His might are innumerable, and the objects of His knowledge infinite.

God's Knowledge.

God knows all things that can be known, and comprehends whatsoever comes to pass, from the extremities of the earth to the highest heavens: even the weight of an atom cannot escape His knowledge, either in earth or heaven. He knows all things hidden or manifest. He knows the number of leaves of the trees, of the grains of wheat and of sand. Events past and future are known to Him. He knows what enters into the heart of man, and what he utters with his mouth. He alone, except those to whom He has revealed them, knows the invisible things. He is free from forgetfulness, negligence and error. His knowledge is internal, it is not posterior to His essence.

1. Belief in God

Belief in God is best represented by the following formula which every sunni, or orthodox Mohammadan must profess sincerely :

God is one and has no partner ; Singular, without any like Him ; Uniform, having no contrary ; Separate, having no equal ; Ancient, having no first ; Eternal, having no beginning ; Everlasting, having no end ; Ever-existing, without termination ; Perpetual and constant, with neither interruption nor termination ; Ever qualified with the attributes of supreme greatness ; nor is He bound to be determined by lapse of ages or times. But He is the Alpha and Omega (the First and the Last,) and the Evident [1], and the Hidden [2].

What God is not.

God is not a formed body ; nor a measurable substance ; neither does He resemble bodies, either in their being measurable or divisible. Neither is He a substance, nor do substances exist in Him ; neither is He an accidental form, nor do accidentals exist in Him.

He is not like anything that exists, neither does anything resemble Him. He is not determined by dimensions, nor contained within bounds ; nor is He surrounded by sides ; nor is He comprised within the heavens or earth. He sits upon the throne, after the manner which He Himself has described, and in that same sense which He Himself meant : it is a sitting, far removed from any notion of contact, or resting upon, or local situation ; but both the throne itself, and whatsoever supports it, are sustained by the goodness of His power, and are conquered by His will. He is above His throne and above all things, but so above, as at the same time not to be a whit nearer to the throne and the heaven, or farther from the earth.

God is exalted by infinite degrees above the throne, no less than He is exalted above the earth, and at the same time, He is near to everything that has being ; nay, he is nearer to men than their jugular veins, and is witness to everything : though His nearness is not like the nearness of bodies ; neither is His essence like the essence of bodies. He does not exist in anything, nor does anything exist in Him ; but He is too exalted, to be contained in any place, and too holy, to be determined by time ; for He

(1) As to His obvious existence. (2) As to His reality.

THE RELIGION OF ISLAM

by

AHMAD A. GALWASH, PH. D., LITT. D.